الدّكتُور: سَعْدُاللهِ أَحْمَدعَارِف

الرَّابِطَة القَلبِيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى

وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ

الإهداء

راسخٌ في علوم الروح والجسم، يترعرع في أرباض كردستان وينهل العلم والحكمة في رياضها الجميلة ثمّ يستقر في بغداد دار الحرب والسلام، مربّيا وأستاذا مجتهدا، فيصوغ أسفارا تنشر الخير والندى ويسقي الأنفس رحيقا من مشكاة الكتاب والسنّة فتحيا بإذن الله ﷻ.

إلى مقام سيّدي حضرة الشيخ الدكتور عبد الله مصطفى الهرشميّ طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه القائل:-

يَا غَيْثُ تَسْـقِي كَمَا نَسْـقِي عَلَى ثِقَـــةٍ *** أَنْتَ الحُقُـــوْلَ وَنَحْنُ الأَنْفُسَ الزُّهَـــرَا

نَدَاكَ يُرْبِي لِعَيْشِ النَّاسِ بُلْغَتَـــــــــهُ *** أَمَّا نَدَانَا فَيُحْـــيِي القَلْـــبَ وَالفِكَـــرَا

(نفحات الحياة: ص: ١١)

خُوَيدِمٌ جاوز قدره

سعدالله أحمد عارف البرزنجي

شكر وثناء

بعد حمد الله تعالى وشكره القائل في محكم كتابه:-

﴿--- وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة النمل: ١٩]

والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيّدنا محمّد القائل:-

(مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ) الإمام أحمد رحمه الله سبحانه (١٢/ ٤٧٢)

أتقدّم بخالص شكري الموصول بالامتنان والثناء لسيّدي حضرة الشيخ الدكتور **محمد الهرشمي**، سائلًا الله تعالى أنْ يجزيه خير الجزاء، ويمنّ عليه بالصحة والعافية والهناء.

كما وأتقدّم بالشكر والتقدير للفاضلين الذين صمّما غلاف الكتاب الأستاذ الفنان: **غسّان محسن**، والخطاط: **محمود الملّا**.

وصلّى الله تعالى على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربّ العالمين

تمهيد

الحمد لله الذي شرح صدور الصّادقين لذكره، وعمّر قلوبهم بألطاف فضله، وقرّبهم ﷻ إلى جنابه بمنّه وجوده، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة لخلقه، سيّدنا وحبيبنا محمّد وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذه صفحات تتحدّث عن الرابطة القلبية في الشريعة الإسلامية رتّبتها على **مقدمة وفصول ثلاثة وخاتمة**.

فـالمقدمة ذكرت فيها نبذة عن أهمية القلوب وبعض الأسباب لاختيار هذا الموضوع، وبيّنت في:-

الفصل الأول: معنى الرابطة القلبية لغة، وبعض مواضع ورود هذا اللفظ في الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة، ثمّ عرّفتها اصطلاحًا مبيّنًا التعريف بشرح فيه نوع تفصيل بأسلوب السؤال والجواب.

ولّما كانت الرابطة القلبية عملًا روحيًّا، وتواصلًا بين المرشد الربّاني والمسترشد، عرّفت **المرشد** وذكرتُ بعض خصائصه وما يجب في حقّه، وذكرتُ نبذة عن التأثير الروحي في جانبيه الإيجابي والسلبي وذلك في **الفصل الثاني**.

وفي **الفصل الثالث** بيّنتُ أنّ الإيمان بالروح وآثارها أمرٌ مجمعٌ عليه بين علماء الإسلام مع بيان حكم الرابطة.

وأمّا الخاتمة فقد ذكرتُ فيها بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وبعض الوصايا والمراجع التي استفدت منها.

واللهَ تعالى أسالُ أنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وينفع به المؤمنين والمؤمنات إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه ﷻ.

اعْمَلْ لِنَفْسِكَ صَالِحًا لَا تَحْتَفِـــــــلْ *** بِـظُـهُـوْرِ قِـيْـلٍ فِي الأَنَـامِ وَقَـالِ

فَـالخَلْقُ لَا يُـرْجَى اجْتِمَاعُ قُـلُـوْبِهِمْ *** لَا بُدَّ مِنْ مُثْنٍ عَلَيْـــــــــــكَ وَقَالِ

تاريخ قضاة الأندلس (١/ ٥٣)

أفقر الورى لعفو المولى

سعد الله أحمد عارف

مقدمة

١ – أهمية القلب:

ورد لفظ القلب في كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه الكريم ﷺ في مواضع كثيرة دلّ على أهمّيته وضرورة العناية به، والتماس بركته ووسائل استثماره والمحافظة عليه، ومنها، قوله تعالى:–

﴿--- وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران عليهم السلام: ١٥٤]

وقوله ﷻ:–

﴿--- وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٠]

وقوله ﷻ:–

﴿--- لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩]

وقوله عزَّ من قائل:–

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة ق:٣١ – ٣٣].

وقوله ﷻ:–

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ٨٨ – ٨٩].

وقوله تعالى:-

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ١٨].

وقوله ﷻ:-

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٧] .

وقوله ﷺ:-

(إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوْبِكُمْ) الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٨/ ١١).

وقوله بأبي وأمّي ونفسي هو ﷺ:-

(أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ) متفق عليه.

والقرآن الكريم وجّه المهتدين بضرورة الالتجاء إلى الله تعالى لحفظ قلوبهم من الزيغ وغيره من الصفات المؤذية فعلّمهم هذا الدعاء المؤثّر:-

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران عليهم السلام: ٨]

وتحدّث عن صفات القلب الحميدة كالإنابة، والخشوع، واللّين، والوجل، وغيرها، كما تحدّث عن صفاته الذميمة كالطبع، والغفلة، والغيظ، والعمى، وغيرها.

ب- سبب اختيار الموضوع:

فهذه النصوص التي ذكرت في الفقرة السابقة وغيرها وهي كثيرة جدًّا تدلُّ على أهمّية القلب وهي السبب الأوّل لاختيار هذا البحث.

وقد تفضّل الله ﷻ عليّ بصحبة الصّادقين والمهتمين بشؤون الأمّة الإسلامية بشكل خاص، وبقيّة النّاس بشكل عام، فوجدتُّ منهم توجيهًا وإرشادًا إلى ضرورة تفعيل الطاقات الخيّرة في الروح الإنسانية، وضرورة الاستفادة من قوّة قلوبٍ قرّبها الله ﷻ إليه وذلك بالصحبة الصالحة القائمة على رباط المحبّة (الرابطة الشريفة) وقد سألني كثير من المسلمين والمسلمات عنها فكان هذا السبب الثاني لاختيار هذا البحث.

ولمّا أكرمني الله تبارك وتعالى بممارسة هذا العمل القلبي وجدتُّ منافعه العظيمة في إحياء قلبي بذكر الله ﷻ فأحببتُ أنْ أوضّحه وأقدّمه لإخواني وأخواتي تحت أضواء قول سيّد السادات حبيبنا محمّد ﷺ:-

(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) متفق عليه.

فكان هذا السبب الثالث لاختياره.

وضعف الثقافة الروحية عند المسلمين سببٌ رابع لكتابة هذا البحث يضاف إلى الأسباب السابقة.

وبعد هذا فقد آن الأوان للدخول إلى فصول هذا البحث تحت أضواء مشكاة الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة.

فيا ربّنا نسألك أنْ تحيي قلوبنا بنور كتابك الكريم وهدي حضرة خاتم النبيّين عليه وآله وصحبه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

الفصل الأول

معنى الرابطة لغة واصطلاحا

وبعض مواضع ورود هذا اللفظ

في الكتاب والسنّة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الرابطة لغةً

المبحث الثاني: بعض المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ

المبحث الثالث: الرابطة اصطلاحًا

المبحث الأول: تعريف الرابطة

هي من مصطلحات السادة الكرام علماء الإسلام الذين يعنون بالتزكية والعمل الروحي الإسلامي ﷺ، ولا مشاحّة في الاصطلاح.

تعريفها لغة:

وهي في اللغة: «اسم من الرّبط، وهو الشدّ والتثبيت واللزوم» المحيط في اللغة: (٩/ ١٦٨)، ومختار الصحاح: (١/ ٢٦٧)

«فالصداقة رابطة بين صديقين، والمحبّة رابطة بين متحابين، والتعليم رابطة بين الأستاذ والتلميذ، والتوجّه الروحي رابطة بين المرشد المدرّب والسالك المتدرّب، فالرابطة هي الصلة بين شيئين أو إنسانين، فإذا كانت في مجال علم الروح فهي بذلك صلة روحانية» معالم الطريق: (ص ٣٠٥ - ٣٠٦).

المبحث الثاني: بعض المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ

وقد وردت هذه اللفظة ببعض مشتقاتها في مواضع من كتاب الله تعالى وأحاديث سيّدنا رسول الله ﷺ، أتشرّف ببعضها مبيّنًا ما يعين على فهم الرابطة من خلالها.

الموضع الأول:-

قال تعالى:-

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران عليهم السلام: ٢٠٠]

ففي هذه الآية الكريمة ينادي الله تعالى على عباده المؤمنين بهذه الصفة المحببة إلى قلوبهم، صفة الإيمان التي تستنهض هممهم وتحفّز طاقاتهم:-

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ليذكّر ﷻ بمقتضيات الإيمان ومنها تطبيق الأوامر واجتناب النواهي، لأنّ الإيمان عقد بين المؤمن وخالقه ﷻ، وهو من أقدس الروابط التي يعرفها الناس ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ أي: احبسوا أنفسكم على ما تكره وتستثقل، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ وهي مفاعلة، أي قاوموا دواعي عدم الصبر كتأخّر النصر وشدّة الفتن الظاهرة والباطنة، ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أي: استمروا على الصبر والمصابرة واثبتوا في المواضع التي تحمي دينكم، لأنّ المرابطة: هي الثبات واللزوم والإقامة على سبل النجاة والنجاح، فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبّد بالتقوى، كما هو حال بعض أهل الضلال، فالمرابطة: هي

لزوم الثغر الذي يُخشى دخول العدوّ منه، وفيها أجر عظيم من الله الكريم ﷻ، فالآية بشّرت بالفلاح ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وهي كلمة جامعة لكلّ خير يتمنّاه الإنسان في دنياه وأُخراه.

وسيّدنا رسول الله ﷺ ورد عنه أنّه قال:-

(رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيْلِ اللّـهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوْحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيْلِ اللّـهِ أَوِ الغدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) الإمام البخاري رحمه الله عزّ شأنه (٣/ ١٠٥٩)

وفي رواية:-

(رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ ذكره (٦/ ٥٠).

وعنه ﷺ:-

(كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ) الإمام الترمذي رحمه الله تعالى (٤/ ١٦٥).

وجهاد الرباط صورة من صور الجهاد في الإسلام لها أحكامها وآدابها، لمعرفة حقائقه طالع معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي (ص١٨٩ - ٢٠٠).

ولا تقتصر المرابطة على هذه الصورة فقط بل تتعداها إلى غيرها، وأجمل ما اطلعت عليه هو ما كتبه ونقله العالم المفضال ابن قيم الجوزية – رحمهُ الله تعالى – في بعض كتبه أنقل منه ما يسمح به المقام وتجلو به الأفهام:-

«وَقِيلَ: اصْبِرُوا بِنُفُوسِكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّـهِ. وَصَابِرُوا بِقُلُوبِكُمْ عَلَى الْبَلْوَى فِي اللَّـهِ. وَرَابِطُوا بِأَسْرَارِكُمْ عَلَى الشَّوْقِ إِلَى اللَّـهِ.

وَقِيلَ: اصْبِرُوا عَلَى النَّعْمَاءِ. وَصَابِرُوا عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ. وَرَابِطُوا فِي دَارِ الْأَعْدَاءِ. وَاتَّقُوْا إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ...

وَالْمُرَابَطَةُ الثَّبَاتُ وَإِعْدَادُ الْعُدَّةِ. وَكَمَا أَنَّ الرِّبَاطَ لُزُومُ الثَّغْرِ لِئَلَّا يَهْجُمَ مِنْهُ الْعَدُوُّ. فَكَذَلِكَ الرِّبَاطُ أَيْضًا لُزُومُ ثَغْرِ الْقَلْبِ لِئَلَّا يَهْجُمَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَيَمْلِكَهُ وَيُخَرِّبَهُ أَوْ يُشَعِّثَهُ.....

وعَلَّمَ ﷻ عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ هَذِهِ الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ، فَجَمَعَهَا لَهُمْ فِي أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَلَا يَتِمُّ أَمْرُ هَذَا الْجِهَادِ إِلَّا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ، فَلَا يَتِمُّ الصَّبْرُ إِلَّا بِمُصَابَرَةِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ مُقَاوَمَتُهُ وَمُنَازَلَتُهُ، فَإِذَا صَابَرَ عَدُوَّهُ احْتَاجَ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ وَهِيَ الْمُرَابَطَةُ، وَهِيَ لُزُومُ ثَغْرِ الْقَلْبِ وَحِرَاسَتُهُ لِئَلَّا يَدْخُلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ، وَلُزُومُ ثَغْرِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ وَاللِّسَانِ وَالْبَطْنِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ.

فَهَذِهِ الثُّغُورُ يَدْخُلُ مِنْهَا الْعَدُوُّ فَيَجُوسُ خِلَالَ الدِّيَارِ وَيُفْسِدُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ، فَالْمُرَابَطَةُ لُزُومُ هَذِهِ الثُّغُورِ، وَلَا يُخَلِّي مَكَانَهَا فَيُصَادِفَ الْعَدُوُّ الثَّغْرَ خَالِيًا فَيَدْخُلَ مِنْهُ.

فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَعْظَمُهُمْ حِمَايَةً وَحِرَاسَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ أَخْلَوُا الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرُوا بِلُزُومِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَدَخَلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ، فَكَانَ مَا كَانَ.

وَجِمَاعُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَعَمُودُهَا الَّذِي تَقُومُ بِهِ هُوَ تَقْوَى اللَّـهِ تَعَالَى، فَلَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ وَلَا الْمُصَابَرَةُ وَلَا الْمُرَابَطَةُ إِلَّا بِالتَّقْوَى، وَلَا تَقُومُ التَّقْوَى إِلَّا عَلَى سَاقِ الصَّبْرِ....أهـ» مدارج السالكين: (٢/ ١٥٩).

تحصّل لكم أيّها الأحباب من هدايات هذه الآية أنّ المرابطة لا تنحصر في لزوم الثغور على تخوم دار الإسلام، بل تتعدّاها إلى عالم المعنويات كما هو واضح من كلام الشيخ ابن القيم رحمة الله تعالى عليه.

ومبيّن في حديث سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) الإمام مسلم رحمه الله تعالى (١/ ١٥١).

الموضع الثاني:-

قال تعالى:-

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [سورة الأنفال: ١١].

وهذه الآية تنقلنا إلى أجواء غزوة بدر الكبرى، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في قوله ﷻ:-

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾

قال سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما:-

(نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ المَاءِ رَمْلَة، وَغَلَبَهُم المُشْرِكُوْنَ عَلَى المَاءِ فَأَصَابَ المُسْلِمِيْنَ ظَمَأ، وَجَعَلُوْا يُصَلُّوْنَ مُحْدِثِيْنَ، وَأَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قُلُوْبِهِم الوَسْوَسَة، يَقُوْلُ: تَزْعُمُوْنَ أَنَّكُم أَوْلِيَاءُ اللَّـهِ وَفِيْكُمْ رَسُوْلُهُ، وَقَدْ غَلَبَكُم المُشْرِكُوْنَ عَلَى المَاءِ وَأَنْتُم تُصَلُّوْنَ مُحْدِثِيْنَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِم مَطَرًا فَشَرِبُوْا وَتَطَهَّرُوْا، وَاشْتَدَّ الرَّمْلُ حِيْنَ أَصَابَهُ المَطَرُ، وَأَزَالَ اللهُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَهُوَ وُسْوَاسَهُ حَيْثُ قَالَ: قَدْ غَلَبَكُم المُشْرِكُوْنَ عَلَى المَاءَ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: رِجْزُ الشَّيْطَانِ: كَيْدُهُ، حَيْثُ أَوْقَعَ فِي قُلُوْبِهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ بِهَؤُلَاءِ القَوْم طَاقَةٌ .... اهـ) (زاد المسير: ٣/ ٣٢٨).

وما قيل هنا يقال عند قول الله تعالى في قصة أصحاب الكهف ﷺ:-

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة الكهف: ١٤].

وعند قوله ﷻ حكاية عن أمّ موسى عليه الصلاة والسلام ورضي الله تعالى عنها:-

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة القصص: ١٠].

فمن هدايات هذا المبحث:-

١- أنّ الله ﷻ يجعل الأمن والطمأنينة في قلوب أوليائه بما شاء من أسباب، بالأمطار، والملائكة، والصالحين ... وغيرها.

٢- وأنّ الشيطان له قابلية التأثير على القلوب إذا شاء الله تعالى ابتلاءً للعبد واختبارًا له، ماذا يفعل؟

٣- وأنّه إذا تأثّرت القلوب تظهر آثارها على الجوارح سلبًا وإيجابًا:-

﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾.

٤- وبدلالة النصّ فالربط معنى من المعاني القلبية له أثره البالغ في الثبات.

فالمستفاد من هذه الآيات في موضوع الرابطة:

هو تلك العلاقة الوثيقة بين القلوب بالمعنى الروحي.

المبحث الثالث: الرابطة اصطلاحًا

هي الإفادة من روحانية المرشد للتقوّي على ذكر الله تعالى بإذنه ﷻ.

ولكي يكون التعريف واضحًا أشرح بعض مفرداته هنا بصيغة السؤال والجواب مستعينا بالكريم الوهاب ﷻ:-

س١/ هل يجوز أنْ نستفيد من مخلوق؟

ج/ قد يكون السؤال غريبًا، لأنّنا بالفطرة نعلم جواز ذلك فكلّ واحد يستفيد من الآخر.

قال تعالى:-

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٣٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله ﷻ في تفسير هذه الآية:-

"وَقَوْله جَلَّتْ عَظَمَته: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ لِيُسَخِّرَ (٣) بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْأَعْمَالِ، لِاحْتِيَاجِ هَذَا إِلَى هَذَا، وَهَذَا إِلَى هَذَا، قَالَهُ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: لِيَمْلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَوَّلِ.

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أَيْ: رَحْمَةُ اللَّـهِ بِخَلْقِهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٥٤).

وقال الشاعر:-

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَــدْوٍ وَمِــنْ حَضَرٍ *** بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْــعُرُوْا خَـدَمُ

(موسوعة الرقائق والأدب: ص٩٠٩)

فنحن نستفيد من المخلوقات بشكل عام سواء كانت المنفعة مادية أو معنوية، ولأنّ اللهَ تعالى جعل الأصل في الأشياء الإباحة ثمّ استثنى أشياء فجعل حكمها التحريم أو الكراهة، فقال ﷻ:-

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [سورة سيّدنا إبراهيم عليه السلام: ٣٢].

فما معنى التسخير إنْ لم نستفد من المسخّر شيئًا؟ ثمّ قال تعالى:-

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣].

وقال سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوْهُ وَلَا تُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيْعًا وَلَا تَفَرَّقُوْا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ)

الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٥/ ١٣٠).

فالإفادة والاستفادة من المخلوقات مباحة ويمكن جعلها قربات إذا التزمنا منهج الله تعالى فيها، بأنْ كسبناها بالطرق الشرعية وحمدنا الله تعالى وشكرناه، وأدّينا ما وجب علينا فيها من الحقوق ولسان حالنا يقول:-

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل: ٥٣].

س٢/ ما المقصود بالروحانية؟

ج/ المقصود بها تلك الطاقة الروحية الخيّرة التي يمنحها الله تعالى لعباده المؤمنين كلٌّ حسب تقواه وقربه من مولاه جلّ في علاه، وأخذه بأسباب دنياه وأخراه.

وديننا العظيم جاءنا بثقافة روحية فذّة أصابها الهزال في حياة الكثيرين - مع الأسف - بسبب انسياقهم وراء التيّارات المادية التي روّج لها الأشرار في كلّ الأقطار، والمشتكى إلى الله الغفّار.

س٣/ هل نؤمن بالروح؟ ولماذا؟

ج/ نعم نؤمن بالروح على أنّه خلق من خلق الله تعالى فيه طاقات وله آثار، فالروح مذكور في القرآن والسنّة، قال تعالى:-

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٥].

وقال ﷻ:-

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [سورة غافر: ١٥].

وقال سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوْحِ وَالجَسَدِ) الإمام ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى (٧/ ٣٢٩).

وقال ﷺ:-

(يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُم فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً (العلقة: القطعة من الدم الغليظ الجامد)، مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً (المضغة: القطعة من اللحم)، مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ...) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه (٨/ ٢٥٩).

وكلمة الروح ذكرت في الشرع الشريف لمعانٍ عدة، أختارُ معنيين منها لعلاقتهما الوثيقة بموضوع الرابطة:-

١- روح الإنسان:

قال ﷻ:-

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [سورة الحجر: ٢٨ - ٢٩].

ويطيب لي أنْ أنقل بعض ما كتبه شيخنا الجليل الدكتور عبد الله مصطفى - طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه - في كتابه (معالم الطريق):-

"الحياة كالمات هي في حقيقتها سرٌّ جعله الله تبارك وتعالى مَنْ أخفى الأسرار وجعل من ظواهرها وآثارها ما هو من أجلى البديهيات، أنت حيّ تسمع وتبصر وتشمّ وتلمس وتذوق وتأكل وتعمل وتسعى وتتحرّك، ثمّ إذا نظرت إلى جثمان إنسان قد مات رأيته قد فقد تلكم

السّمات الظاهرات وانقلب جسدًا ليس يوجد فيه حياة كلوح من خشب أو مرمر آيل إلى تراب أو رفات، فإنْ كنت لم تر قط ميتًا فاجتهد أنْ ترى، فليس مَنْ رأى كمَنْ سمع وإنْ كان السماع كما هنا بالعينين. سرّ الحياة وباعثها هو الروح، وسرّ الممات انقطاع الروح عن البدن، فأيّ شيء هو الروح في حدّ ذاته يا ترى؟

إنّنا نستطيع أنْ نعرفه بخاصته وقواه وآثاره، وإنْ كنّا لا نملك تحليل ذاته إلى مركبات - لأنّه بسيط وليس من المركبات أصلًا - أعلمنا بالروح خالق الروح في كتابه المجيد إذ قال:-

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [سورة الإسراء: ٨٥]

هذا جواب تامّ وليس منعًا من الجواب كما يتوهّم بعض الناس. فإنّ الله - جلّت قدرته - يخلق على أنواع وأنماط، يخلق على نمط سلسلة طويلة من الأسباب والمسببات، ويخلق خلقًا مباشرًا تنعدم فيه السلسلة الطويلة.

المخلوق على أوّل النمطين كقرص الخبز الذي تأكله وتتغذى منه: فمن حراثة الأرض وذر البذرة، وسقي الماء وتعاقب الإشعاعات والأضواء ثمّ الحصاد والتنقيح والطحن وعمل الخبز إلى وضعه أمامك تأكله كم من سبب وسبب ممّا ذكرنا وممّا لم نذكر؟! وعمر الحق لا نحصي حلقات السلسلة في خلق الخبز وحده في كتاب في حجم الذي بين يديك فكيف في سلاسل الخلق لسائر المخلوقات! أمّا المخلوق على النمط الثاني فقريب العهد بالخالق من حيث انعدام السلسلة، ويعبر عنه ربّ العالمين بالإضافة إلى ذاته - جلّ جلاله وعمّ نواله -:-

﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [سورة الحجر: ٢٩]

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة السجدة: ٩]

و ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ وهي الآية المتلوة بتمامها آنفًا التي تمّ فيها جواب السؤال ببيان خاصة الروح المميزة إيّاه وهي كونه من عالم الأمر، أي من عالم النمط الثاني.

وتعريف الشيء بذكر خاصّته المميّزة أدقّ من التعريف بأعراضه العامة، وقد علمت قبل قليل أنَّ الروح بسيط وليس من المركبات حتى يعرف بذكر عناصر التركيب.

ها نحن علمنا خاصة الروح وعلمنا آنفًا الظواهر البديهية من قواه الضعيفة المألوفة في جسم الإنسان كالسمع والبصر، وسنعلم في الفصل الخامس عشر قواه القوية وتفصيل آثارها، هذه ثلاث قوى عظيمة وهي: "الفكر – والقلب – والنفس"، لها صنوف من التأثير الداخلي والتأثير الخارجي، أي التأثير المتبادل بينهما في ذات الإنسان الفرد عينه، والتأثير المتعدي إلى آخرين من بني الإنسان.

والقلب والفكر قوّتان جليلتان تتمّ بهما جلائل الأعمال على ما سوف يأتي في الفصل الخامس عشر – إنْ شاء الله تعالى – وسنذكر آثار النفس السيئة في الفصل الثامن المخصوص بكشف علماء السوء وأعمال التخريب. فيكفي هنا أنْ نصوّر لك صورة مختزلة لبعض هذه التأثيرات.

يوجّه إنسان قوّة الإرادة صوب هوى النفس الأمّارة بالسوء في مجال الفكر وفي مجال الشهوات فيترجح عنده الكفر على الإيمان والضلالة على الهداية والانهماك في ملذات البطن والفرج حيثما أتت، والأثرة في هذه وإنْ كانت السبل إليها جرائم في حق أشخاص آخرين أو في حق المجتمع،

ويوجّه إنسان قوّة الإرادة نحو تقوى القلب فيترجح عنده الإيمان على الكفر والهداية على الضلال والاعتدال في الملاذ والإيثار على الأثرة، ومن ثمّ نفع الآخرين فرادى أو جماعات وإذا شئت فاقرأ قوله تعالى:-

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۞ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۞ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۞ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [سورة النازعات: ٣٤ - ٤١] .

هذا هو روح الإنسان وهذه قواه، وتتفاوت الأرواح بمراتب قواها كما تجدها تتفاوت في قوّة الفكر والاستعداد لتلقي العلوم، وإذا كان الناس هكذا بأرواحهم فكيف بأرواح الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - ثمّ كيف بالروح العظيم الذي اختير لختم النبوّة والرسالات! عِلمُنا لا يستطيع يبلغ مبلغ الكشف عن مرتبته، فكشفها ربّه الذي خلقه وأولاه منزلته وأمرنا بإتباعه في كلّ شيء وبأن:-

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [سورة النساء: ٨٠]

فلنتدبر هذه الآيات من ربّ العالمين:-

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۞ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۞ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾[سورة النجم: ٣ - ١٠] .

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۞ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۞ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [سورة النجم: ١٣ - ١٨].

يا لعظمة هذا الروح! يعرج إلى سدرة المنتهى ويرى الكبرى من آيات ربّه ثمّ لا يزيغ منه البصر ولا يطغى - ولَكَمْ زاغت أبصار أو طغت في مقامات دون هذا المقام - بأبي أنت وأمّي يا خاتم الأنبياء والمرسلين، صلّى الله عليك وعلى آلك وأصحابك والمهتدين بهديك إلى يوم الدين.

وَبِـــتَّ تَرْقَـــى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَـــةً *** مِنْ "قَـابِ قَوْسَـيْنِ" لَمْ تُـدرَك وَلَمْ تُرَمِ

(ديوان البوصيري: ١/ ٢٤٧، ومعالم الطريق: ص٥٥- ٥٨).

فروح الإنسان لها آثارها الظاهرة والخفية وأتمنى لكلّ إنسان يحترم إنسانيته أنْ يكون له تطلع للثقافة الروحية ويأخذ نصيبًا وافرًا منها، ومَن وُفِّقَ لذلك فعليه قراءة المباحث المخصوصة بعجائب القلب وصفاته ومنجياته ومهلكاته في الجزء الثالث من كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، ولآثار الروح بعد مبارحة الجسد كتاب "الروح" للشيخ ابن قيم الجوزية، ومعالم الطريق لشيخنا العلامة أستاذ الجيل حضرة الدكتور عبد الله مصطفى رحمهم الله تعالى.

٢- بصيرة القلب:-

قال ﷻ:-

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ

جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]

البصيرة نور يقذفه الله تعالى في القلب، ومن ثَمّ فُسِّرَ قوله ﷻ:-

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾: أي بنور القلب، قاله جمهور المفسرين ﷺ. ينظر: تفسير أبي السعود (٧/ ١٥)، وتفسير النسفي(١/ ١٦)، وتفسير روح المعاني: (٢٠/ ٨٤).

وهاكم ما قاله الإمام الطبري – رحمه الله تعالى –:-

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ «أي قوّاهم ببرهان منه ونور وهدىً» (جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٣/ ٢٥٨).

وقال الإمام الآلوسي – رحمه الله تعالى –:-

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ «أي: من عنده ﷻ على أنّ «من» ابتدائية، والمراد بالروح نور القلب وهو نور يقذفه الله تعالى في قلب مَنْ يشاء مِن عباده تحصل به الطمأنينة والعروج على معارج التحقيق، وتسميته روحًا مجاز مرسل لأنّه سبب الحياة الطيبة الأبدية» (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٨/ ٣٦).

وقال الأستاذ سيّد قطب – رحمه الله تعالى –:-

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ «وما يمكن أنْ يعزموا هذه العزمة إلّا بروح من الله، وما يمكن أنْ تشرق قلوبهم بهذا النور إلّا بهذا الروح الذي يمدّهم بالقوّة والإشراف ويصلهم بمصدر القوة والإشراق» (في ظلال القرآن: ٧/ ١٥٥).

س٤/ كم هي الطاقات الروحية؟

ج/ أوصلها بعضهم إلى ما يقرب من عشر، ولكن الراسخ في علم الروح، والمجتهد في كتاب الملك القدوس وسنّة سيّد الخلق حبيب القلوب والنفوس ﷺ، سيّدي وقرّة عيني الذي ما ذقت حلاوة الإيمان إلّا على يديه المباركتين العلامة الدكتور عبد الله مصطفى - طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه - حصرها في ثلاث قوىً متمايزات فقال ﷺ في كتابه الفريد الموسوم بـ «معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي»:

هذه القوى ثلاث: **الفكر، والنفس، والقلب**، والثلاث القوى متمايزات ومتفاعلات في واقع الأمر على ما سنرى.

- **الفكر**: قوّة روحانية بها يدرك الروح ويعلم ويتأمّل ويعقل ويفهم ويتخيّل ويتذكّر ويستنتج.

ومظهر ارتباطها بالجسد الترابي هو الدماغ وفي آيات عديدة من الكتاب المجيد وردت مشتقات "الفكر" الفعلية للدلالة القطعية على وجود الفكر والمفكّر ولمعان أخرى منها:

أ- التأمّل والتدبّر، كما في قوله تعالى:-

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ شُهُودًا ۞ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ۞ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۞ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: ١١ - ٢٥].

ب- العلم بالشيء، كما في قوله تعالى:-

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۞ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ۞ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٢ - ١٨٤].

ج- التفكّر والاستنتاج، كما في قوله تعالى:-

﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الروم: ٨].

د- التعقّل، كما في قوله تعالى:-

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: ٢١].

هـ - التذكّر والتخيّل، كما في قوله تعالى:-

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة سيّدنا يونس عليه السلام: ٢٤].

- **النفس**: هي القوة الدافعة إلى الشهوات والأمّارة بالسوء، ومظهر ارتباطها بالجسد غدّة في الثالث من تجاويف الدماغ قبالة ما بين العينين من الجبهة تقريبًا، والغدّة قابلة للتكلّس المادي دون أنْ تكون قد ماتت بعد، وقد وردت "النفس" في القرآن المجيد كثيرًا.

للإعجاز البلاغي في القرآن الكريم أساليب كثيرة جدًّا، منها استعمال كلمة واحدة للدلالة على معاني متعددة يتعيّن من بينها المعنى في أيّما نصّ مشتمل على الكلمة تعينًا محققًا بسياق النصّ ومقتضى الحال البياني المدرك منه، وإنّ من هذه لفظة "النفس" هذه التي نقدّم في الذكر معناها المراد بالتعريف ثمّ نشير إلى مواضع معانيها الأخرى:-

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات: ٤٠ - ٤١].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٧٠].

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٧].

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٣٠].

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [سورة النجم: ٢٣].

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: ٥٣].

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: ١٨].

تلك هي النفس التي تهوى السوء وتأمر بالسيئات.

وفي اسم النفس اشتراك معان كما قلنا، أريد به ذات القدوس الرحمن الرحيم:-

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤].

واستعمل بمعنى شخص الإنسان الفرد:-

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [سورة النساء: ١].

وبمعنى الفكر والقلب:-

﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤].

وأيضا في معنى «الروح» ذاته:-

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [سورة الفجر: ٢٧ - ٢٨]

ومرادنا هنا ما في السبع الآيات المتلوات.

- **القلب**: قوّة روحانية لطيفة ذات مِرّة لها الإرادة ولها التأثير البليغ في القوّتين الأخريين وأيضًا تختص بمعقولات لا تصلها القوّتان الأخريان، ومظهر ارتباطها بجسد الإنسان هو العضو الصنوبري الجسماني الموجود في تجويف الصدر المسمّى باسم «القلب» عينه.

والقلب لطيفه الروحاني وكثيفه الجسماني يمدّان أعضاء البدن جميعها بالحياة والغذاء، حتى إذا توقفا عن الإمداد انتهت حياة الإنسان الدنيا ومات الكثيف منهما وماتت خلايا الجسد، وانتقل اللطيف إلى العالم الآخر ملازمًا أصل الروح خالدًا في العالم الجديد إمّا إلى نار وإمّا جنّة.

قد كثر في التنزيل ذكر القلب اللطيف كثرة مشعرة بمنزلته العليّة بين سائر قوى الروح، وقد أحصينا الآيات فيها اسم القلب فبلغت إحدى وثلاثين ومائة، بَيْدَ أنّ معناه قد ذكر في التنزيل باسم الفؤاد واللب أيضًا، حتى كأنّ القلب هو الروح عينه، فإنْ لم يَكُنْهُ فهو أعظم قواه، فلنقرأ من الآيات البيّنات التي ترينا من أحوال القلب خيره وشره:-

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٢- ١٩٤].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة التغابن: ١١].

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۞ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [سورة الحجرات: ٧ – ٨].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: ٢٧ – ٢٨].

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحديد: ١٦].

والقوى الثلاث: "النفس، والفكر، والقلب" متفاعلة فيما بينها يؤثر بعضها في بعض، وإنْ كان للقلب تأثير أتمّ وسلطان أعظم لأنّه منبع الإرادة والقرار الفعّال، وإنّما يستقيم له هذا السلطان إذا كان الوحي له ظهيرًا وإيّاه هاديًا، فإنْ شذَّ عن الوحي أو انحرف غلبه فكر منحرف لا محالة، وساقتها النفس الأمّارة بالسوء إلى كلّ عمل ظاهر أو باطن فيه انقطاع القلب فمساءة الروح، وإذا شئت فعد إلى قراءة الآيات المتلوة آنفا ثمّ اقرأ بعدها هذه الآيات:-

﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٤ – ٤٥].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٢].

وعلى الجملة إذا انساق الإنسان مع النفس الأمّارة إلى الكبائر والسيئات غلبته على فكره وقلبه بتراكب تلكم الآثام، وإذا انساق مع أفكار ضالة عن نهج الهداية الربانية غلبه الفكر الضال على قلبه فأمسى كالحجارة بل هو أشدّ قسوة، أمّا مَنْ آمن قلبه واتقى وصدّق بالحسنى فذلك الذي يسّر الله روحه لليسرى ووفّقه لخير الآخرة والأولى، ولنا في الجزء الثلاثين من القرآن المجيد سور عديدة توضح بأساليب مفيدة أوجه الهداية والضلال والعلاقة بين القلوب والأفكار والأعمال.

ومن القرآن إلى السنّة، حديث عظيم الموقع أخرجه أئمة الحديث البخاري ومسلم والترمذي بطرق متعددة كلّها عن عامر الشعبي والبخاري بسند أعلى فيه بينه وبين رسول الله ﷺ أربعة رواة، فوجدناه من رباعيات البخاري فآثرناه هنا سندًا ومتنًا:- "حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا زكريا عن عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:-

(الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا

وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّـهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه (١/ ٥٦)

قلنا في سند الحديث إنّه من الرباعيات، وفي متنه يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى:-

(وروى أَبُو حَامِد أَحْمد بن سهل قَالَ سَمِعت أَحْمد بن حَنْبَل يَقُول: أصُول الْإِسْلَام على ثَلَاثَة أَحَادِيث: ١- الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ، ٢- والحلال بَين وَالْحرَام بَين، ٣- وَمن أحدث فِي أمرنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رد، وروى عبد الله بن أبي دَاوُد قَالَ: سَمِعت أبي يَقُول: الْفِقْه يَدُور على خَمْسَة أَحَادِيث: ١- الْحَلَال بَين وَالْحرَام بَين، ٢- الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ، ٣- وَمَا نهتكم عَنهُ فَاجْتَنبُوهُ وَمَا أَمرتكُم بِهِ فَأتوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم، ٤- لَا ضَرَر وَلَا إِضْرَار، ٥- وَالدّين النَّصِيحَة، وَقَالَ أَبُو دَاوُد: كَتَبتُ عَن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم خَمْسمِائَة ألف حَدِيث، انتخبت مِنْهَا مَا ضمنته كتاب السّنَن فَذكرت الصَّحِيح وَمَا يُشبههُ ويقاربه وَيَكْفِي الْإِنْسَان لدينِهِ من ذَلِك أَرْبَعَة أَحَادِيث: ١- أَحدهَا قَول عليه السلام الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ، ٢- وَالثَّانِي قَوْله عليه السلام من حسن إِسْلَام الْمَرْء تَركه مَالا يعنيه، ٣-وَالثَّالِث قَوْله عليه السلام لَا يكون الْمُؤمن مُؤمنا حَتَّى يرضى لِأَخِيهِ مَا يرضاه لنَفسِهِ، ٤- وَالرَّابِع قَوْله عليه السلام الْحَلَال بَين وَالْحرَام بَين) (تلقيح فهوم أهل الأثر ص:٢٩٨).

ثمّ انظر - أيّها الرفيق القارئ - إلى لطف التصريح والتلميح في كلام خاتم النبيّين -صلّى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين - وكيف نبّه على إرادة اللطيف والكثيف معًا من القلب في نصّ واحد، السياق ومقتضى الحال واضحان في إرادة اللطيف من لفظ القلب إذ المقام مقام الورع والتقوى، فلمّا أراد الشارع الجليل التلميح إلى أنّ الكثيف أيضًا مقصود بالنصّ استعمل لفظ

"مضغة" الدالة عليه ثمّ قال "ألَا وهي القلب" للدلالة عليهما معًا، وبيان أنّ الكثيف الجسماني هو مظهر اللطيف الروحاني فهو عرش الروح، هذا الممنوح هذه القوة الفائقة والمخاطب من ثمّة بأحكام ربّ العالمين خالق الكلّ وقيوم الكلّ - جلّ جلاله وعمّ نواله - وفي هذا المقام ذهب الأسلاف الكرام علماء الإسلام مذهبين في مستقر العقل، فمن علماء الحديث المجتهدين مَنْ ذهب إلى أنّ العقل في الدماغ كالإمام أبي حنيفة ﷺ.

ومنهم مَنْ ذهبوا إلى أنّ العقل في القلب لا في الرأس، محتجين بهذا الحديث الشريف، وبقوله تعالى:-

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [سورة الحج: ٤٦]

و ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧].

وهذا هو ما ذهب إليه العلماء الشافعيون ومنهم الشيخ العلامة يحيى النووي، الذي ذكر المنحيين في الموضع الذي أسلفنا الإشارة إليه من شرحه لصحيح الإمام مسلم(المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:١١/ ٢١).

أمّا المتكلمون فجمهورهم في هذا على اختيار القلب، وفيهم مَن اختار الرأس وفاقًا لأبي حنيفة ﷺ والأطباء. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢/ ٣٠٦).

وإنّا بفضل الله وحسن توفيقه ذاهبون في هذه المسألة مذهبًا موحدًا بين المذهبين السالفين، فنقول: بأنّ الحقّ والصدق هو ما وضّحه سيّدنا رسول الله ﷺ من أنّ القلب بروحانيه المصرّح به في النصّ وجسمانيه الملمح إليه فيه هو مرجع الصلاح والفساد في جسد الإنسان كلّه، إذ ليس

بعد مقال الرسول ﷺ من حكم إلّا ما يوافقه: "أفلا ترى إلى القلب متى فسد فسدت أعضاء الجسم فارتكبت المفاسد والمحرمات"، وبأنّ المذهبين السالفين كلاهما راجع إلى الصحّة وموافقة النصّ دونما تعارض بينهما إذا دقّقنا المسألة على مزيد من علم وتحقيق.

لقد بيّنا قبل ورقات أنّ مظهر الفكر هو الدماغ، وأنّ العقل من الفكر، وهما راجعان إلى العلم، وقد سبق أنْ بيّنا في مباحث العلم "في الفصل الخامس" أنّ حقيقة العلم حاصلة بنبض كهرومغناطيسي يحصل في الدماغ، ولنعلم الآن أنّ القلب هو المولّد الذي ينتج منه ذلك النبض الكهرومغناطيسي وكلّ القوى الكهربائية الأخرى الموجودة في جسم الإنسان، وهو أيضًا الذي ينتج قوّة كهربائية خفيفة في داخل نفسه لتنظيم نبضاته، حتى إذا اختلّت درجة قوّتها المعينة زيادة أو نقصانًا اختلّ نظام نبضات القلب ذاته اختلالًا مشعرًا بممات الجسد آخر الأمر.

وهذه الأخيرة قد أصبحت اليوم معروفة في علم الطب، وأصبح اختلالها يعالج معالجة جراحية بمد رأس سلك إلى داخل القلب الكثيف مربوطة نهايته الأخرى بنضيدة كهرباء جدّ صغيرة تخبأ تحت جلد المريض في موضع ملائم من جسده، وهذا وجه من أوجه التمايز بين قوتيّ الفكر والقلب من قوى الروح الثلاث التي بيّناها آنفًا، ومن هاهنا ما أسلفناه من التفاعل بين هذه القوى ومن أنّ القلب اللطيف هو صاحب السلطان الأعظم والتأثير بين قوى الروح، وهكذا يصحّ قول القائل بأنّ العقل في الرأس، كما يصحّ قول القائل بأنّه في القلب، الأوّل باعتبار المظهر المحسوس به، والثاني باعتبار المكمن المؤثّر، ومثل الفريقين كمثل اثنين يدخلان غرفة مضاءة بمصباح كهربائي وأحدهما يفقد ثقافة الكهرباء والآخر يجدها: فأوّلهما يعزو الإضاءة إلى المصباح، والثاني إلى تيار الكهرباء عبر الأسلاك، وكلاهما مصيب عند ذاك.

كلّ ذلك ونحن في مجال بعض وظائف الأعضاء في جسم الإنسان، وبعض القوى الكهربائية، وبعض علاقاتها بقوى الروح، فأمّا الأمر الأدقّ من هذه كلّها في صلة الروح صاحب القوى الثلاث بمكونات جسد الإنسان كلها من "الذرات" و "الدوذريات" فارجع للعلم به إلى المبحث التاسع من كتاب "الرفيق الأعلى" حيث الكلام في مجال الفيزياء النووية.

وتأمّل بعد ذلك كلّه في الحكمة وفصل الخطاب عند خاتم النبيين كما وجدنا في حديثه الشريف المستنار به هاهنا، علومه وحي فلا يحتاج هو فيها إلى فسلجة وفيزياء ولا إلى تجميع مقدمات وآراء، ثمّ ارجع الفكر كرّتين في حديثه الشريف تستزد من فوائده أنّه ﷺ رمى إلى الورع والتقوى باجتناب حِمى الله وتعظيم شعائره، ومَنْ يتق ويعظّم شعائر الله فذلك من تقوى القلوب، وأنّى لي أنْ أجمع في هذا الكتاب جميع المحارم والشعائر!

قد عرضنا منها في الفصل السابق وسائر الفصول، وإذا الرفيق القارئ استزاد مزيدًا فله الإفاضة في جوامع السنن، ولا سيما أبواب البرّ وأبواب الرقائق، حيث أنوار الورع والتقى والإيمان ومصابيح الهداية إلى جنتين ذواتي أفنان. لكنّي أملك هنا أنْ أقدّم إليه صورة من صور الورع عند المؤمنين والمؤمنات صدقًا، وهذه في قصّة جدّ قصيرة ذكرها العلامة القسطلاني في شرحه لصحيح الإمام البخاري، (١/ ٢٨٥)، والرسالة القشيرية: (١/ ٥٣)، ذهبت مسلمة إلى الإمام أحمد ابن حنبل تستفتيه في واقعة شرعية فقالت له: (إِنَّا نَغْزِلُ عَلَى سُطُوْحِنَا -لَيْلًا- فَيَمُرُّ بِنَا مَشَاعِلُ الظَاهِرِيَّةِ -أَي قَوَافِلُ الرَّكَائِبِ حَامِلَات الأَثْقَالِ- وَيَقَعُ الشُّعَاعُ عَلَيْنَا، أَفَيَجُوْزُ لَنَا الغَزْلُ فِي شُعَاعِهَا؟ فَقَالَ لَهَا الإِمَامُ أَحْمَدُ: مَنْ أَنْتِ عَافَاكِ اللهُ؟ قَالَتْ: أُخْتُ بِشْرِ الحَافِيّ، فَبَكَى

الإِمَامُ وَقَالَ: مِنْ بَيْتِكُمْ يَخْرُجُ الوَرَعُ الصَّادِقُ، لَا تَغْزِلِي فِي شُعَاعِهَا) الإمام الترمذي رحمه الله تعالى (٤/ ٦٣٤).

حدثنا أبو بكر بن أبي النضر، حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو عقيل الثقفي عبد الله بن عقيل، حدثنا عبد الله بن زيد، حدثني ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدي وكان من أصحاب النبيّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:-

(لَا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكُوْنَ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ البَأْسُ) الإمام الترمذي رحمه الله جلّ وعلا (٤/ ٦٣٤).

لينظر الإنسان، إذن في شأن روحه مع القوى الثلاث، وفي أمر معاشه هنا ومحياه في دار المقام، وفي الطريق الذي مهّده سيّد الأنام إلى رياض الجنّة ولقاء الملك العلام: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [سورة النور: ٥٢].

فحقّ النفس الأمّارة: أنْ يُكبح جماحُها، وتُكسر سيوفُها ورماحُها، وتُصدّ عن الجوارح والفكر والقلب رياحُها، وتقهر حتى ينقطع خداعُها وجراحُها، وتُطوّع كيما يستوي مسراها وغدوُّها ورواحُهَا، ثمّ يُهدى إليها استقرارُها وأمانُها وفلاحُها.

وعندئذ فهي النفس المزكاة مريدة القلب في أمره والإشارات، وقد اخترت هذه الجمل القصيرات المسجعات خاتمة لما في هذا الكتاب عن -النفس- من مقالات مفرقات أو مجمعات، مع هذين البيتين الجميلين من الشعر التصويري للإمام القدوة البوصيري:-

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى *** حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فَلَا تَرُمْ بِالمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا *** إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

(ديوان البوصيري: ١/ ٢٣٨).

وحقّ الفكر: أنْ يستعلم كلّ معرفة هي فرض عين، ثمّ كلّ ما أمكن من فروض الكفاية، ثمّ ما تيسّر من النوافل والمبرآت والقربات، وأنّ يتجه في العلم والعمل إلى الضروريات للحياة، ومنها إلى الحاجيات ثمّ من هذه إلى التحسينات، – وقد مرّ علينا كثير من هذه المعاني في فصول الركنين الأول والثاني –، وأنْ يصبح للقلب خير معين ورفيق يساوقه ويواكبه ويحاوره، ويستعين به ويعاونه، ويتجه معه إلى كلّ ما يحيي الفؤاد ويرضي ربّ العباد.

حقّ القلب: أنْ يتجه إلى الغاية المثلى والمقصد الأسنى لروح الإنسان، وأنْ يقود الفكر إلى زكاء الأبدان والجنان، وأنْ يعرج مع الروح إلى عالم القدس وبهجة الرضوان، ولهذا خصّصنا القلب بجلّ ما في هذا الفصل الأخير من علم وبيان.

ثمّ المستخلص ممّا تقدّم كلّه أنّ قوّة النفس وقوّة الفكر لا تستغنيان عن قوّة القلب، وأنّ قوّة القلب قد تنفرد عنهما بمعارف وأعمال.

وربما لقبت قوّة القلب – بالحاسة السادسة –، وجرى إلى ذكرها والحديث عنها أتباع الحضارة الأوربية الحديثة، ولا سيما بعد ما اشتهر أنّ الحاسة السادسة هي من مكتشفات علماء هذه الحضارة المتخصصين في علم النفس وعلم الروح، والتابع قد يغفل عمّا يعلم متبوعه، وقد يجهل ما يخفي المتبوع ابتغاء الدجل في العرفان، أمّا نحن فنعلم أنّ أخصّ خصائص الحضارة الأوربية المعاصرة هو الدجل، والحاسة السادسة لم تسلم من هذا الدجل، أوّل عالم لقب هذه القوة الروحانية – بالحاسة السادسة – هو الإمام الهمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي – ت ٥٠٥ هـ، أي قبل أنْ تنبثق الحضارة الحديثة وتنهض، إذا شئت فارجع إلى (إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٦٣ – ٣٦٤)

بل كانت علوم الفيلسوف الغزالي وعلوم خَلَفِهِ ابن رشد الحفيد وكتبهما الكثيرة هي المعين الصافي الصحصاح الذي منها استقيت المعارف التي نهضت عليها الحضارة الجاحدة، وليس في هذا الشأن هنا متسع لتفصيل، فإذا أحببت فراجع مقدمة كتابنا "الرفيق الأعلى"، أو الفصول الأخيرة من "الحرية الجامعية".

المهم إنّا عرفنا الثلاث القوى بالأدلة الثابتة، وتوصلنا إلى أنّ القلب قوّة برأسها من قوى الروح، فلم يعد بنا حاجة إلى اعتبارها حاسّة، ولا إلى تلقيبها بالسادسة كما رأيت، ولست في قولي هذا معارضا الغزالي الإمام ولا آخرين من الأئمة الأعلام هداة الأنام بالإسلام، فهو شيخي في سلسلة الإجازة العامّة في علوم الكتاب والسنّة، وهم جميعًا أسلافنا الذين بنوا الصروح والشرفات العوالي وعلى مراقيهم صعدنا نحن إلى العلالي، وإنّما أنا بعض الغابطين، كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله في "نهج البردة"، مخاطباً الرسول ﷺ في شأن الإمام البوصيري وبردته:-

مَدِيْحُهُ فِـيْـكَ حُبٌّ خَالِـصٌ وَهَـوىً *** وَصَادِقُ الحُبِّ يُمْلِي صَـــــــادِقَ الكَـلِمِ

اللهُ يَـشْـهَـدُ أَنِّـي لَا أُعَـــــــارِضُهُ *** مَـنْ ذَا يُـعَـارِضُ صَـــوْبَ الـعَـارِضِ الـعَـرِمِ

وَإِنَّمَـــا أَنا بَعْضُ الغَابِـطِـيْنَ وَمَـنْ *** يَغْبِط وَلِيَّكَ لَا يُذْمَـــــم وَلَا يُلَـــــــمِ

(موسوعة الشعر الإسلامي: ٧/ ٥٦٠).

الفصل الثاني

تعريف المرشد

وبيان بعض خصائص الروح

- وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المرشد

المبحث الثاني: بعض خصائص الروح

المبحث الأول: تعريف المرشد

قلت في تعريف الرابطة اصطلاحًا: «هي الإفادة من روحانية المرشد للتقوّي على ذكر الله تعالى بإذنه ﷻ».

س١: من هو المرشد؟

ج: هو الشيخ الكامل الموصول السند بسيّدنا محمّد ﷺ من الناحية الروحية والعلمية، ولفظ – المرشد – ورد في قول الله ﷻ:-

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [سورة الكهف: ١٧].

قال الشيخ سعيد حوّى – رحمه الله تعالى –:

«والآية دلّت على أنّ أعظم الهداة هم الأولياء المرشدون: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ بيّن أنّ هؤلاء – أي أصحاب الكهف رضي الله عنهم وعنكم – هم الغاية في الهداية، فمَنْ أراد الله إضلاله لأنّه سلك سبل الضلال مثل الظلم والفسق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨] .

وقال أيضًا: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٠٨].

قال: فمَنْ أراد الله إضلاله فإنّه لا يهديه أحدٌ حتى ولو كان وليًّا مرشدًا، نسأله تعالى أنْ يجعلنا من الأولياء المرشدين» (الأساس في التفسير: ٦/ ٣١٦٩)

س٢: هل يصح إطلاق لفظ الكامل على المخلوق؟ وما يراد به؟

ج: «الكامل»: يراد به الكمال المقدور للإنسان في مجال التقوى والإيمان والإحسان، قال حبيبنا المصطفى العدنان ﷺ:-

(أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلاقًا، الْـمُوَطئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ) الإمام الطبراني رحمه الله تعالى في المعجم الصغير (١/ ٢٣٦).

وقال ﷺ:-

(كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) متفق عليه.

ولا يراد به الكمال المطلق لأنّ هذا لا يكون إلّا لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد جلّ جلاله وعمّ نواله.

س٣: ما هي أهم صفات المرشد؟

ج: من صفات المرشدين ﷺ إضافة إلى ما ذُكِرَ: التأثير الروحي بإذن الله تعالى، وسلامة الصدور، ومحبّة الهداية للنّاس أجمعين مع البُعد التامّ عن الأهواء والمعاصي والذنوب إلّا ما كُتِبَ على ابن آدم، فإنّي لا أدّعي العصمة لغير الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والتسليم، قال تعالى:-

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [سورة آل عمران عليهم السلام: ١٣٣ - ١٣٦].

فانظروا رحمكم الله تعالى كيف وصف المتقين باحتمال وقوعهم في المعاصي ولكنّهم سرعان ما يتوبون ويذّكرون.

ولحديث:-

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) الإمام الترمذي رحمه الله جلّ وعلا (٤/ ٦٥٩).

فالمرشدون ﷺ هم ورّاث الحبيب محمّد ﷺ وراثة نسبية تنسجم مع مقام الولاية، ثمّ يتفاضلون فيما بينهم حسب مجاهداتهم وفضل الله تعالى عليهم، فهم درجات عند الله تعالى، ولا أثبت

الوراثة التامّة التي تجعلهم في مصاف الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والتسليم – لأنّ النبوّة اصطفاء واختيار، قال تعالى:–

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [سورة الحج: ٧٥]

وقال أيضا:–

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: ٦].

بينما الولاية اجتهاد وكسب ثمّ قبل ذلك وبعده فضل من الله تعالى وعطاء، قال ﷻ:–

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [سورة النحل: ٥٣]

وقال أيضا:–

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة سيّدنا يونس عليه السلام: ٦٢ – ٦٤] .

وقال ﷻ:–

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩]

وقال تعالى:-

﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة البقرة: ١٠٥]

والوراثة النبوية في هذه الأمّة وظيفة نيابية هي من مقتضيات ختم النبوّة، قال ﷻ:-

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

فهذه هي أمّة الإسناد يقف عالمها ومرشدها بكلّ قوّة وثبات يحدّث عن نبيّه ﷺ بالسند الموصول، ويتوجّه بنور قلبه الذاكر المطمئن، قال ﷻ:-

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: ٢٨]

ليشيع في أفكار محبّيه الذين عاهدوه على طاعة الله تعالى في السرّ والعلن قدر المستطاع، أقول ليشيع في أفكارهم الإصلاح والتدرّب على أعمال الروح بأنواعها ومنها ذكر الله تعالى، فالذكر في أصله عبادة روحية مبنية على التذكّر، قال الشاعر:-

اذْكُرُوْنَـــــا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ *** رُبَّ ذِكْرَى قَرَّبَتْ مَنْ بَعُدا

(خزانة الأدب: ١/ ٤٢٩)

فالروح التي تستمد من الطاقات الفائقة من روحانية المرشد أقدر على ذكر الله ﷻ؛ لأنّها سقيت بماء الحكمة وقويت بأنوار المعرفة، وفي كلّ الأحوال الله ﷻ: هو الفاعل ولا يحصل شيء إلّا بإذنه تعالى، قال عزّ من قائل:-

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٥].

ولمزيد من أحكام الذكر أنصح بالتشرّف بكتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله تعالى، فقد سمعتُ المشايخ الذين تشرّفت بهم يقولون في تقريضه:-

«بع الدَّارَ واشْتَرِ الأَذْكَارَ» (أبجد العلوم: ٢/ ٤٧)

وكتاب شيخنا – رحمه الله تعالى – «معالم الطريق» الذي اقتبست منه كثيرًا في ثنايا هذا البحث.

قال ﷻ:-

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة الجمعة: ٢].

فالوظائف المذكورة في هذه الآية الكريمة ومثيلاتها توارثها المرشدون كابرًا عن كابر من حبيبهم سيّدنا رسول الله ﷺ.

فالمرشد إذًا عبدٌ تقرّب من الله تعالى بصدق النيّة وعلو الهمّة وكثرة الطاعات، تحت رعاية مرشده وشيخه الموجّه الفائق، فتضاعفت طاقاته الروحية، وتحقّق في المعاني الإيمانية، وتدّرج في العروج إلى مقامات القرب من ربّ البريّة، فكان وارثًا حقًّا لسيّد الخلق وحبيب الحقّ ﷺ.

قال ﷻ:-

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩]

وقال ﷻ:-

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [سورة سيّدنا محمّد ﷺ: ١٧].

وقال ﷺ:-

(إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) الإمام البخاري رحمه الباري عزّ شأنه (٨/ ١٠٥).

وقال ﷺ:-

(الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّـهِ) الإمام أحمد رحمه الله جلّ وعلا (٦/ ٢٠)

فهذا هو الذي هُدِينا إليه وندعو الله تعالى قائلين:-

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران عليهم السلام: ٨].

وما أجمل في هذا المقام أنْ نتشرّف بهدايات مستنبطة من كتاب الله – العليم العلام – وسنّة خاتم النبيّين ﷺ سطّرها شيخنا وأستاذ جيلنا الهمام – طيّب الله روحه وذكره وثراه – في كتابه "معالم الطريق" فقال ﷺ تحت عنوان:-

«التعلّم والإرشاد»

من الأمثال السائرة: «العلم بالتعلّم»، وهو قول حقّ شريف أساسه الكتاب المجيد وحديث من تراجم الإمام البخاري (القسطلاني: ١/ ٣١٧)، قال تعالى:-

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: ٤ - ٥] .

خلق ربّ العالمين - جلّت قدرته - لكلّ عالم من عوالمه الكثيرة قوانين وسننًا، وهذه لحياة الإنسان الدنيا وعالمه على أرضنا، القوانين والسنن التي نعلم ونعرف منها ونشاهد ونطبق: قوانين الوسائل والغايات والأسباب والمسببات، منها ما لنا عليه قدرة وما ليس لنا عليه شيء من القدرات، ووسيلة استحصال العلم هي التلمذة والتعلّم والأستاذ والتعليم، الشأن في كلّ العلوم هكذا، فأمّا الجوانب التطبيقية للعلوم والمعارف التي لا ينفع النظري منها مفصولًا عن العمليّ، أمّا هذه فالحاجة فيها إلى الأستاذ المرشد وتوجيهاته أشدّ وأدعى.

خذ علوم الطبّ والصيدلة مثالًا، وكلاهما من العلوم التطبيقية، أنت لن تصبح طبيبًا بمحض المطالعة في كتب الطبّ وقرائتها، ولن تغدو صيدلانيًّا بمجرّد الخوض في أسفار الصيدلة، وأوضح الأمثلة لذلك في مجال علوم اللغة وفنونها "علم المخارج" و "علم التجويد"؛ فافهم أنّ علم الروح ليس بمستثنى مرسل عن قوانين الوسائل والغايات، فهو علم أجلّ منافعه إنّما هو في الجانب التطبيقي منه، فإذا كانت الحاجة في العلوم الأخرى ماسّة إلى الأستاذ المرشد المتمكّن فالحاجة إليه في علم الروح أمسّ، والاحتياج إليه أوجب من باب أولى.

ثمّ انظر إلى الشأن في أركان الدين، يرسل ربّ العالمين – جلّ وعلا – رسوله جبرائيل إلى خاتم النبيّين – صلّى الله وسلّم على رسوليه الكريمين – ليعلّمه الصلاة ويؤمّه للتطبيق في الصلوات الخمس المكتوبات في أوقاتها، ارجع لأسانيد ذلك إلى كتاب الصلاة من مصادر الفقه، وهذا خاتم النبيّين – جزاه الله عن المسلمين خيرًا وصلّى وسلّم عليه – قد تولّى الإرشاد والتعليم في الجانبين النظري والتطبيقي من أحكام الإسلام وشريعته الغرّاء، ولا سيما المخصوصة منها بأعمال القلوب من الورع والتقوى والذكر والفكر ومقام الإحسان، وتولّاه من بعده مِنْ أتباعه وارثو علمه سادات الأمّة الداعون نيابة عنه إلى الله ﷻ وإلى خاتم أديانه الذي أكمله وارتضاه وأتمّ به نعمته على العالمين.

وتتابع العلم والإرشاد والمرشدون، يجيز السلف منهم الخلف في سلاسل متصلة من لدن خاتم النبيّين – صلّى الله وسلّم عليهم أجمعين – إلى يومنا هذا، وإنّ من سلاسل المرشدين المجازين المجيزين على "طريق الحضور والإحسان"، "طريق صريح الإيمان" سلسلة هي أشبه ما تكون بسلسلة الذهب من رواة الحديث، وترقى في أعاليها إلى القاسم بن محمّد من فقهاء المدينة السبعة فإلى سيّدنا سلمان الفارسي فسيّدنا أبي بكر الصديق ﷺ، وتلقّى الصاحبان الجليلان من منبع العلم والإرشاد والعرفان والإحسان – صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه – ووارثي علمه إلى يوم الدين.

ويتتلمذ الإنسان حتى يغدو عالمًا، فإذا غدا مَلك أنْ يستزيد بالمطالعة في علم قريب من مجال اختصاصه لم يكن تلقاه بعينه من أساتيذه، لكن عالم الفقه والقانون إذا أحبّ أنْ يصبح طبيبًا فوسيلته لذلك العودة إلى التلمذة ليس إلّا.

والمؤمن المتقن ما افترضه الله تعالى عليه من واجبات الإسلام ونوافله متى اتجه إلى مرضاة ربّه ورافق أصحاب القلوب أمكنه التدرّج بقوّة الفكر حتى المثابة الأولى من النهج البادئ من مقام الإحسان، فأمّا المثابة العليا من النهج البادئ وأمّا النهج الأقصى فلا سبيل إليهما من دون أستاذ مرشد أمدّه الله تعالى بالعلم وبالقدرة على توجيه القلوب بحول الله وقوّته، ذلك لأنّ علالي المقصد الأسنى لا تنال ولا يعرج إليها إلّا بقوّة القلب، والقدرة على استعمال قوّة القلب وسيلتها التدرّب بين يدي أستاذ مرشد قد بلغ النهج الأقصى من مقام الإحسان واتصلت بالإجازة أسبابه بالسلسلة الآنف ذكرها المتشبثة بأذيال خاتم النبيّين وقدوة الأولين والآخرين – صلّى الله وسلّم على إمام المتقين وآله وأصحابه والمتشبثين بأذيال هدايته إلى يوم الدين –.

والغافل عن سنن الله تعالى وقوانينه في وسيلة العلم وتلقّيه هو ذاك الذي تخيّل إليه نفسه أنّ الأمر أُنُفٌ لكلّ امرئ في كلّ زمان، وأن ليس من حاجة إنسان إلى إنسان في مجال علوم الدين والروح ومقام الإحسان، والغالب على هؤلاء الغافلين سوء الظنّ بعباد الله المخلصين، والالتهاء بالغيبة والنميمة واقتراف هذه الآثام تزينه لهم نفوسهم بأنّ فيها دعوة إلى الإسلام.

وأحبّ أنْ أضع لهذا الغافل ميزان اعتدال يزن هو به نفسه ويمتحن الخطأ من الصواب إنْ أقام فكره ورأسه. ليتعبّدْ كيف يشاء وليتحنّث كيف يشاء شهرًا كاملا أو عامًا كاملا، ثمّ ليحرّك قلبه كيف يشاء فلينظر هل أصبح قلبه ذاكرا الذكر الذي وصفناه عند بيان المثابة العليا من النهج البادي لمقام الإحسان؟ إنّه سيدرك العجز عن إيصال قلبه إلى تلك المثابة، وإذا تبيّن عجزه فليكن بعد العجز حصيفًا يزجر نفسه الأمّارة بالسوء تدعوه إلى الغرور والمكابرة والإهمال، وليتبع سنّة الله ﷻ التي سنّها للتعلّم والتلقّي والاسترشاد فليذهب إلى عالم مرشد متخصص

وارث لعلوم رسول الله، وليقبّل يده وقدمه إخباتًا وتواضعًا ومحبةً لله - كما صنع أصحاب رسول الله مع رسول الله - اللهمّ صلّ وسلّم على هادينا ومرشدنا ومقتدانا محمّد وآله وأصحابه ووارثي علومه الشريفة. ولك الحمد والشكر والمنّة والعتبى أوّلا وآخرًا حتّى ترضى يا رب العالمين -. (معالم الطريق: ص ٣٠٣ - ٣٠٥).

المبحث الثاني: بعض خصائص الروح

س١ : هل تؤمن بالتأثير الروحي؟ ولماذا؟

ج: نعم، أؤمن بالتأثير الروحي سلبًا وإيجابًا، لتضافر النصوص الشرعية على ذلك وتأكيدها عليه.

أ- بعض أدلة التأثير الإيجابي:

١- قوله تعالى:-

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [سورة آل عمران عليهم السلام: ١٩٣]

فانظروا يا رعاكم الله تعالى كيف علّمنا أنْ نسأله جلّ جلاله وعمّ نواله الوفاة بصحبة التقاة لما لها من بركات وتأثيرات.

٢- قوله ﷻ:-

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩]

فتأمّلوا في هذا الأمر الربّاني لتفقهوا بركات الكينونة مع أهل الصدق.

٣- قوله ﷻ:-

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [سورة الكهف: ٢٨]

لا شكّ في أنّ وقع هذه الآية في بيان فوائد الحضور مع العُبَّادِ وشدّة التلاحم معهم وقع عظيم لا ينكر آثاره إلّا مكابر.

٤- حديث سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) الإمام مسلم رحمه المنعم سبحانه (٤/ ٢٠٢٦)

٥- أخرج الترمذي في (الجامع الصحيح: ٤/ ٦٦٦):-

(حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ هِلَالٍ البَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعِيدٍ الجُرَيْرِيِّ، ح وحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّـهِ البَزَّازُ قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّارٌ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعِيدٍ الجُرَيْرِيِّ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ، - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ، نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَوَاللَّـهِ إِنَّا لَكَذَلِكَ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَانْطَلَقْنَا، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّـهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَعَلَى فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً)

وسواء عنى حنظلة بقوله «كأنّا رأي عين» أنّهم صاروا كأنّهم يرون الله ﷻ أم كأنّهم يرون الجنّة والنّار رأي عين فالمستفاد من شكايته، ثمّ من جواب النبيّ ﷺ أنّه وأمثاله من الأصحاب قد كانوا في ذروة مقام الإحسان. رضي الله تعالى عنهم وأثابهم بجهادهم وجزاهم عنّا خيرًا، فلقد علّمونا ونقلوا إلينا العلم مدرارا. ثمّ انظر كيف كان رسول الله ﷺ يزكّيهم ويدرّبهم بقلبه وبحاله وبمقاله: أخرج الإمام بخاري (القسطلاني:١١/ ١٠٨):

(حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ هِلاَلِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ، قَالَ (هِلَالُ) سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ صَلَّى لَنَا يَوْمًا الصَّلاَةَ "الظُّهْرَ عَلَى مَا قَالَ القَسْطَلَانِي" ثُمَّ رَقِيَ المِنْبَرَ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ قِبْلَةِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: قَدْ أُرِيتُ الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلاَةَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، مُمَثَّلَتَيْنِ "أي مُصَوَّرَتَيْنِ كَمَا قَالَ الإمام القَسْطَلَانِي" فِي قُبُلِ هَذَا الجِدَارِ "أي وَاجِهَتهُ" فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ)

٦- حديث سيّدنا أبي سعيد الخدري ﷺ أنّ نبيّ الله ﷺ قال:-

(كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّـهِ ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ

آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ) الإمام مسلم رحمه الله جلّ في علاه (٨/ ١٠٣)

وهذا الحديث الشريف يبيّن بجلاء ووضوح فائدة التوجّه لصحبة الصالحين رضي الله تعالى عنهم وعنكم أجمعين.

٧- ومن الشواهد التطبيقية تلك القلوب التي أحياها سيّدنا رسول الله ﷺ والتي كانت أقسى من الحجر.

ويطيب لي أنْ أستشهد بقصّة سيّدنا فضالة ﷺ التي أوردها صاحب - زاد المعاد - في سيرته وهو ما حدث يوم فتح مكة المكرمة «إِذْ هَمَّ فُضَالَةُ أَنْ يَقْتُلَ رَسُوْلَ اللَّـهِ ﷺ وَهُوَ يَطُوْفُ بِالبَيْتِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُوْلُ اللَّـهِ ﷺ « أَفُضَالَةُ؟ » قَالَ: نَعَمْ فُضَالَةُ يَا رَسُوْلَ اللَّـهِ ، قَالَ: «مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟» قَالَ: لَا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكُرُ اللهَ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «اسْتَغْفِرِ اللهَ»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ، وَكَانَ فُضَالَةُ يَقُوْلُ: وَاللَّـهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا خَلَقَ اللهُ شَيْئًا أَحَبّ إِلَيَّ مِنْهُ، قَالَ فُضَالَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: هَلُمَّ إِلَى الحَدِيْثِ فَقُلْتُ: لَا، وَانْبَعَثَ فُضَالَةُ يَقُوْلُ:-

قَـالَـتْ هَـلُـمّ إِلَى الْحَـدِيـثِ فَقُلْـتُ لَا *** يَأْبَى عَلَيْكِ اللّـهُ وَالْإِسْـــــــــلَامُ

لَوْ مَا رَأَيْتِ مُحَمّدًا وَقَبِيلَـــــــــــهُ *** بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسّرُ الْأَصْنَـــــــــامُ

لَرَأَيْتِ دِينَ اللّـهِ أَضْحَى بَيّنًـــــــا *** وَالــشّــــرْكَ يَغْــشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

(السيرة النبوية لابن هشام: ٥/ ٨٠، زاد المعاد: ٣/ ٣٦١).

٨- سئل سيّدنا رسول الله ﷺ (مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّـهِ؟ قَالَ: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّـهُ) الإمام النسائي رحمه الله تعالى.

فلنفهم ممّا تقدّم أنّ مصاحبة أحياء القلوب الصالحين والإفادة من نور قلوبهم والتأدّب بآدابهم كلّ هذه مأمور بها في شرعة المسلمين جليّة المنافع للدنيا والدين، وهي تثبت كغيرها من مثيلاتها وهي كثيرة التأثير الإيجابي للأرواح الزكيّة.

ب- بعض أدلة التأثير السلبي:

١- قوله تعالى على لسان سيّدنا يعقوب عليه السلام:-

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: ٦٧]

فانظروا وفّقكم الله تعالى كيف أنّ سيّدنا يعقوب عليه السلام خاف على بنيه من الحسّاد إنْ هم دخلوا من باب واحد وأنّ القرآن الكريم وافقه ولم ينكر عليه.

٢- قوله تعالى:-

﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [سورة الفرقان: ٢٧]

فالآية الكريمة تثبت فضلا لمعيّة الرسول ﷺ.

٣- قوله عزّ وجلّ:-

﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۞ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٣٦ - ٣٧] .

نصّت الآية الكريمة على التأثير السلبي للغفلة وقدرة الشيطان.

٤- حديث سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(الْعَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ) الإمام أحمد رحمه الفرد الصمد جلّ جلاله.

وقال ﷺ:-

(العَيْنُ تُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ وَالجَمَلَ القِدْرَ) الإمام أبو نعيم رحمه الله تعالى في الحلية (٧/ ٩٠).

٥- كلّ الآيات والأحاديث التي تبيّن آثار الصحبة الصالحة بمنطوقها، تصلح أدلة على آثار الصحبة السيئة بمفهومها المخالف، ولخطورة التأثير السلبي فإنّ الله ﷻ أمرنا أنْ نلوذ بجنابه ونحتمي بحماه ﷻ فقال:-

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٠].

وقال ﷻ:-

﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [سورة النحل: ٩٨].

وأنزل سورتين كاملتين في الاستعاذة وهما:-

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق: ١ - ٥].

و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۞ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۞ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۞ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ١ - ٦].

ومن العجب العجاب أنّ كثيرًا من النّاس يؤمنون بالتأثير الروحي السلبي إلى حدّ الخرافات وينكرون تأثيرها الإيجابي إلى حدّ التعدّي على حرمة المؤمنين بها وإنْ كانوا من علماء الأمّة المشهود لهم بالصلاح والإصلاح، بل المجمع على صلاحهم دون مخالف، وقد قدّر الله ﷻ لي

اللقاء بأحد المنكرين بمسجدي (جامع الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى) ببغداد فرّج الله عنها وعن أهلها، فحدّثته بكلّ ما أعلم من هدايات الكتاب والسنّة في التأثير الإيجابي للروح لكنّه خرج منكرًا، ولم يلبث سوى أيّام قليلة حتى جاءني يقول: دخيل الله خلصوني، فقلت: ما الذي حدث؟ خير إنْ شاء الله تعالى؟ فقال: «أصابتني كوارث بسبب حاسد» فذكر احتراق داره، وحصول حادثة مرورية لولده مع إصابات خطيرة! فقلت: كيف عرفت ذلك؟ قال: دخل عليّ رجل في متجري فقال: هذا كلّه لك وتملك دارًا وسيارة؟! وبعد خروجه بفترة وجيزة حصلت هذه الكوارث تترى.

فقلت له: سبحان الله! قبل أيّام كنت تنكر التأثير الروحي واليوم تثبته، ألَا تجد نفسك بحاجة ماسّة إلى مراجعة أفكارك ومعتقداتك؟ ثمّ نصحته بأنْ يسلّم الأمر لله تبارك وتعالى ويرضى بما قدّر الله ﷻ ويكرّر ما أرشد إليه سيّدنا رسول الله ﷺ حيث قال:-

(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّـهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّـهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّـهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ ذكره (٨/ ٥٦).

ولا شكّ أنّنا حين نعتقد بالتأثير الروحي سلبًا وإيجابًا نؤمن بيقين أنّ الفاعل هو الله تعالى، قال ﷻ:-

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا

هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]

وهذا واضح أيضًا لكلّ مَنْ تأمّل في تعريف الرابطة المذكور في هذا البحث.

س٢- هل يقرّ العلم الحديث بالتأثير القلبي؟

ج/ نعم يقرُّ بذلك فقد جاء في موقع الدكتور عبد الدائم الكحيل (أسرار القلب) ما يلي:

"ذبذبات من القلب"

يقول الدكتور بول برسال Paul Pearsall إنّ القلب يحسّ ويشعر ويتذكّر ويرسل ذبذبات تمكّنه من التفاهم مع القلوب الأخرى، ويساعد على تنظيم مناعة الجسم، ويحتوي على معلومات يرسلها إلى كلّ أنحاء الجسم مع كلّ نبضة من نبضاته. ويتساءل بعض الباحثين: هل من الممكن أنْ تسكن الذاكرة عميقًا في قلوبنا؟

إنّ القلب بإيقاعه المنتظم يتحكم بإيقاع الجسد كاملًا فهو وسيلة الربط بين كلّ خلية من خلايا الجسم من خلال عمله كمضخة للدم، حيث تعبر كلّ خلية دم هذا القلب وتحمل المعلومات منه وتذهب بها إلى بقيّة خلايا الجسم، إذنْ القلب لا يغذي الجسد بالدم النقي إنّما يغذيه أيضًا بالمعلومات!.

ومن الأبحاث الغريبة التي أجريت في معهد "رياضيات القلب" HeartMath أنّهم وجدوا أنّ المجال الكهربائي للقلب قوي جدًّا ويؤثّر على مَنْ حولنا من الناس، أي أنّ الإنسان يمكن أنْ يتصل مع غيره من خلال قلبه فقط دون أنْ يتكلم!!!

القلب يؤثر على قلوب الآخرين:

أجرى معهد رياضيات القلب العديد من التجارب أثبت من خلالها أنّ القلب يبثّ ترددات كهرومغناطيسية تؤثر على الدماغ وتوجّهه في عمله، وأنّه من الممكن أنْ يؤثّر القلب على عملية الإدراك والفهم لدى الإنسان. كما وجدوا أنّ القلب يبثّ مجالًا كهربائيًّا هو الأقوى بين أعضاء الجسم، لذلك فهو من المحتمل أنْ يسيطر على عمل الجسم بالكامل.

القلب يؤثر على أدمغة الآخرين:

إنّ النتائج التي قدّمها معهد رياضيات القلب مبهرة وتؤكّد أنّك عندما تقترب من إنسان آخر أو تلمسه أو تتحدّث معه، فإنّ التغيّرات الحاصلة في نظام دقّات قلبك تنعكس على نشاطه الدماغي!! أي أنّ قلبك يؤثّر على دماغ مَنْ هو أمامك.

- المجال الكهربائي للقلب أقوى ٥٠ - ١٠٠ مرّة من الدماغ.

- المجال المغناطيسي للقلب أقوى بخمسة آلاف مرّة من الدماغ.

- يؤكّد الباحثون أنّ القلب يتأثّر ببعض الكلمات ذات المعنى المريح، ويتغيّر معدّل النبض ويتغيّر المجال الكهرومغناطيسي للقلب ويؤثر على النّاس القريبين منه.

ومَنْ أراد الاستزادة فعليه بالرجوع إلى الموقع المذكور وأمثاله. وصدق الله العظيم القائل:-

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

الفصل الثالث

الإيمان بالروح وآثاره مجمع عليه

بين علماء الإسلام وحكم الرابطة

- وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: الإيمان بالروح وآثاره مجمع عليه

المبحث الثاني: حكم الرابطة الشريفة

تمهيد

أودّ في بداية هذا المبحث التأكيد على ما يلي:-

أنّ ما سبق ذكره من هدايات الكتاب والسنّة كافية شرعًا لإثبات مشروعية الرابطة والتأثير الروحي، وما أذكره هنا هو من باب التأكيد والتوضيح ليس إلّا، على إنّنا بفضل ربّنا ﷻ على الحقّ الذي جاء به سيّد الخلق ﷺ.

قال تعالى:-

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: ١٠٨].

وقال سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ - وَفِي رِوَايَةٍ - عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ- لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ) الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى (١/ ١٦).

ومن أروع وأجمل ما ورد في الاستدلال على الرابطة الشريفة ما استنبطه حضرة شيخنا إذ قال رضي الله عنه:-

"فلنتأمل الآن في مزيد من أحكام الكتاب والسنّة في هذا الشأن، في قوله تعالى:-

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٠ - ٢٠١].

أتتنا هذه الآية الكريمة بهذه الأحكام:-

- أ- الأمر بذكر الله.
- ب_ تجويز ذكرنا آباءنا.
- ج- تجويز ذكرنا الناس سوى آبائنا.
- د- الأمر بذكر الله ذكراً أشد من ذكر الآباء.
- هـ - الأمر بالدعاء لخير الدنيا مع خير الآخرة.

وسياق الآية ومقتضى الحال واضحان كلّ الوضوح في أنّ التشبيه بذكر الآباء لا علاقة له بوصف الأبوّة على وجه الحصر، بل هو تشبيه لذكر الله تعالى بذكر إنسان كالأب مثلًا.

وكما أنّ أقلّ الذكر قد نصّ على جواز تشبيهه وأُمِرَ بمثله في حقّ الله تعالى، فكذلك الشأن في الذكر الأشدّ أمرًا به وتجويزًا لتشبيهه بما هو أشدّ من ذكر الآباء ممّا يكون بين بني الإنسان.

فكأنّ الآية الكريمة مبنيّة على **مثل صنعة الاحتباك**".

وهذه نبذة مختصرة في بيان المصطلح البلاغي الذي ذكره حضرة شيخنا:

الاحتباك لغة: من الحبك وهو: الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصناعة في الثوب. القاموس المحيط (٣/ ٢٩٧).

واصطلاحًا: هُوَ أَنْ تَجْعَلَ الكَلَامَ شَطْرَيْنِ وَتَحْذِفَ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا نَظِيْرَ مَا أُثْبِتَ فِي الآخَرِ قَصْدَ الاخْتِصَارِ. تفسير الشعراوي (٧/ ٤٠٩٨).

ولتوضيحه نذكر أمثلةً، منها:-

أوّلا: قوله ﷻ:-

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [سورة آل عمران عليهم السلام: ١٣].

أي: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ﴾ (مؤمِنَةٌ) ﴿تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ (تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغوتِ) ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾.

فَحُذِف الوصف وهو لفظ (مؤمنة) في الأوائل لدلالة مقابله في الأواخر وهو لفظ (كافرة)، وحُذِفَ من الأواخر جملة (تقاتل في سبيلِ الطاغوت) لدلالة مُقَابِله في الأوائل، وهي جملة (تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ) البلاغة العربية (١/ ٣٤٧).

ثانيا: قوله تبارك في علاه:-

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [سورة فصلت: ٤٠]

تقدير الآية الكريمة:-

﴿أَفَمَن﴾ (يأتي خائفا يوم القيامة فــ) ﴿يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ (فيدخل الجنة).

فحذف (أفمَنْ يأتي خائفا يوم القيامة) لدلالة مقابله (أم مَنْ يأتي آمنا يوم القيامة) وذلك لأنَّ الخوف يقابله الأمن.

وحذف (فيدخل الجنة) لدلالة (يلقى في النار) لوجود التناظر بينهما.

وهنالك نوع يسمّى **شبه الاحتباك** لعدم التقابل التامّ بين المحذوف والمذكور، ومن أمثلته:-

أولا: قوله تبارك اسمه:-

﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [سورة النحل: ٦٣]

فتقدير الآية الكريمة:-

﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ (فَكَانَ وَلِيَّهُمْ حِينَئِذٍ)، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ (المشركين يُزَيِّنُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾التحرير والتنوير (١٤/ ١٩٥).

فحذف (فَكَانَ وَلِيَّهُمْ حِينَئِذٍ) لوجود دليل يدل عليه وهو أنه صار وليا للمشركين (اليوم).

وحذف (يزيّن لهم أعمالهم) لوجود الدليل وهو أنّه (فزيّن لهم أعمالهم) فكما زيّن لَمَنْ سبق فهو يزيّن لَمَنْ بعدهم.

ثانيا: قوله ﷻ:-

﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٠]

تقدير الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ (ذكرًا كثيرًا) ﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ (كذكركم مَنْ تذكرونه أشدّ من ذكر آباءكم).

فحذف من القضية الأولى (ذكرًا كثيرًا) لوجود المقابل في القضية الثانية وهو صيغة أفعل التفضيل (أشدّ ذكرًا) لأنّ مقابل (الأشدّ) (الشديد والكثير)، لأنّ صيغة أفعل التفضيل تدلّ على المشاركة والزيادة، فإذا قلنا: (زيدٌ أشد من سعد) مثلا فمعناه : أنّ زيدًا فاق سعدًا في الشدّة لكنّهما مشتركان في أصل الشدة.

وحذف من القضية الثانية (كذكركم مَنْ تذكرونه أشدّ من ذكر آباءكم) لوجود المقابل وهو قوله تعالى (كذكركم آباءكم).

وكان هذا مثل الاحتباك وليس احتباكًا لعدم التضادّ بين المتقابلين لكن فهمت المقابلة من السياق، والله تعالى أعلم.

قال سيّدي حضرة الشيخ عبد الله الهرشمي طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه ورضي عنه وأرضاه معلّقا على هذه الآية الشريفة:-

(وكما أنّ أقلّ الذكر قد نصّ على جواز تشبيهه وأُمِرَ بمثله في حقّ الله تعالى، فكذلك الشأن في الذكر الأشد أمرا به وتجويزًا لتشبيهه بما هو أشدّ من ذكر الآباء ممّا يكون بين بني آدم.

فكأنّ الآية الكريمة مبنية على مثل صنعة الاحتباك، وصورتها:-

"اذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا، كذكركم مَنْ تذكرونه ذكرًا أشدّ مِنْ ذكركم آبائكم"

وعلى الحدّين تشتمل الآية على تجويز ذكر السالك إنسانًا هو شيخه، بَيْدَ أنّ الذكر الروحاني من السالك أشدّ من ذكره أباه وأتمّ.

فذكر الله تعالى الأتمّ الأكمل أيضًا مأمور به، وهو مفضّل على الحدّ الأقلّ الذي هو في مستوى ذكر الآباء. والسالك الروحاني إنّما يذكر مرشده الروحي لكي يرتقي هو إلى مصافّ ذكر الله تعالى ذكرًا أقوى وأتمّ وأكمل من كلّ ذكر حتّى ذكره شيخه. (معالم الطريق في العمل الروحي الاسلامي: ٣٠٥ - ٣٠٧).

المبحث الأول: الإيمان بالروح وآثاره مجمع عليه

إن الاعتقاد بالتأثير الروحي الإيجابي ليس حكرًا على الربانيّين الذين يُعنَون بالتزكية، أو الذين اشتُهِرُوا عند الناس بأنّهم روحانيون، بل عمّ جُلَّ علماء الإسلام، حتّى أولئك الذين نسب إليهم إنكار العمل الروحي أو فُسِّر كلامهم ليوافق أهواء النحل المنحرفة عن جادة الصواب، أو وجدت لهم عبارات فعلًا تدلّ على الإنكار لكن المتأمّل يجدها مناقضة لنصوص أخرى ثابتة عنهم، وهذا قليل ينمّ عن ضعف الإنسان وتعرّضه للخطأ والسهو والنسيان، قال ﷺ:-

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) الإمام الترمذي رحمه الله جلّ وعلا (٤/ ٦٥٩).

أو أنّها وردت في طائفة ممّن انتحلوا أسماء الروحانيين ظلمًا فعمّمها أهل الأهواء ليشمل الجميع!! فمنذ زمان ليس ببعيد يلصق طائفة من الناس إنكار التأثير الروحي والمقامات والأحوال القلبية لبعض العلماء كأمثال الشيخ ابن تيمية وابن القيم أو لَمَنْ يسمّونهم بعلماء السلفية، ولا شكّ أنّ في هذه النسبة إساءة واضحة لهؤلاء العلماء -رحمهم الله تعالى بلطفه وجزاهم سبحانه بمنّه وعطفه-، فالشيخ ابن تيمية - رحمه الله ﷻ - يقول في كرامات الأولياء وغيرها من أعمال القلوب:-

(وَكَرَامَاتُ الأَوْلِيَاءِ حَقٌّ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ أَهْلِ الإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا القُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَالأَحَادِيْثُ الصَّحِيْحَةُ وَالآثَارُ المُتَوَاتِرَةُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ وَغَيْرِهِم، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ أَهْلُ البِدَعِ مِنَ المُعْتَزِلَةِ وَالجَهَمِيَّةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ) (مختصر الفتاوى المصرية: ص ٦٠٠).

ويقول رحمه الله ﷻ :-

(وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي طَرِيْقِهِمْ فَطَائِفَةٌ ذَمَّتِ الصُّوْفِيَّةَ وَالتَّصَوُّفَ وَقَالُوْا إِنَّهُمْ مُبْتَدِعُوْنَ خَارِجُوْنَ عَنِ السُّنَّةِ، وَطَائِفَةٌ غَلَتْ فَجَعَلَتْ طَرِيْقَهُمْ أَفْضَلَ الطُّرِقِ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُمْ يَجْتَهِدُوْنَ فِي طَاعَةِ اللَّـهِ ، فَمِنْهُم الْمُذْنِبُ وَالتَّقِيُّ، وَقَدْ صَارَتِ الصُّوْفِيَّةُ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ: صُوْفِيَّةُ الحَقَائِقِ، وَصُوْفِيَّةُ الأَرْزَاقِ، وَصُوْفِيَّةُ الرُّسُوْمِ، فَأَمَّا صُوْفِيَّةُ الحَقَائِقِ فَهُم الَّذِيْنَ وَصَفْنَاهُمْ - بِأَنَّهُمْ يَجْتَهِدُوْنَ فِي طَاعَةِ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ - وَأَمَّا صُوْفِيَّةُ الأَرْزَاقِ فَهُم الَّذِيْنَ وَقَفَتْ عَلَيْهِم الخَوَانِقُ وَالوُقُوْفُ فَلَا يُشْتَرَطُ فِي هَؤُلَاءِ أَنْ يَكُوْنُوْا أَهْلَ الحَقَائِقِ، وَأَمَّا صُوْفِيَّةُ الرُّسُوْمِ فَهُم المَقْصُوْدُوْنَ الْمُقْتَصِرُوْنَ عَلَى التَّشَبُّهِ بِهِم فِي اللِّبَاسِ وَالآدَابِ الوَضْعِيَّةِ، فَهُم بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يَقْتَصِرُ عَلَى زِيِّ أَهْلِ العِلْمِ) (مختصر الفتاوى المصرية: ص٥٧١ - ٥٧٢).

ويقول رحمه الله ﷻ :-

(أَعْمَالُ القُلُوْبِ الَّتِي تُسَمَّى المَقَامَاتِ وَالأَحْوَالَ، وَهِيَ مِنْ أُصُوْلِ الإِيْمَانِ وَقَوَاعِدِ الدِّيْنِ، مِثْل مَحَبَّةِ اللَّـهِ وَرَسُوْلِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّـهِ وَإِخْلَاصِ الدِّيْنِ لَهُ وَالشُّكْرِ لَهُ وَالصَّبْرِ عَلَى حُكْمِهِ وَالخَوْفِ مِنْهُ وَالرَّجَاءِ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ، كُلُّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى جَمِيْعِ الخَلْقِ الْمَأْمُوْرِيْنَ بِأَصْلِ الدِّيْنِ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الدِّيْنِ... وَهَذِهِ المَقَامَاتُ لِلْخَاصَّةِ خَاصَّتُهَا وَلِلْعَامَّةِ عَامَّتُهَا) (مختصر الفتاوى المصرية: ص٥٨٧ - ٥٨٩).

ويقول رحمه الله ﷻ :-

(أَن هَذَا الْأَحْوَال إِذَا كَانَتْ أَسْبَابُهَا مَشْرُوْعَةً وَصَاحِبُهَا صَادِقًا عَاجِزًا عَنْ دَفْعِهَا كَانَ مَحْمُوْدًا عَلَى فِعْلِهِ مِنَ الخَيْرِ مَعْذُوْرًا فِيْمَا عَجَزَ عَنْهُ وَأَصَابَهُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، وَهُمْ أَكْمَلُ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْ مَنْزِلَتَهُمْ لِنَقْصِ إِيْمَانِهِ وَقَسَاوَةِ قَلْبِهِ، وَمَنْ لَمْ يَزَلْ عَقْلُهُ مَعَ كَوْنِهِ قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ الإِيْمَانِ مَا حَصَلَ لَهُمْ فَهُوَ

أَفْضَلُ مِنْهُمْ، وَهَذِهِ حَالُ الصَّحَابَةِ ﷺ وَحَالُ نَبِيِّنَا ﷺ، فَإِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ وَرَأَى مَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى وَأَصْبَحَ ثَابِتَ العَقْلِ لَمْ يَتَغَيَّرْ، فَحَالُهُ بِلَا شَكّ أَفْضَلُ مِنْ حَالِ مُوْسَى عليه السلام الَّذِي خَرَّ صَعِقًا لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ وَجَعَلَهُ دَكًّا، وَحَالُ مُوْسَى عليه السلام حَالٌ جَلِيْلَةٌ فَاضِلَةٌ عَلِيَّةٌ، لَكِنَّ حَالَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ وَأَعْلَى) (مختصر الفتاوى المصرية: ص٥٧٠ - ٥٧١).

قال شيخي - طيّب الله تعالى روحه وثراه:-

(هَذَا مَا قَالَهُ اَلشَّيْخُ اِبْنُ تَيْمِيَّة وَذَهَبَ إِلَيْهِ، وَنَحْنُ نَقُولُ بِجَمِيعِ مَا قَالَهُ وَنَذْهَب إِلَيْهِ، أَمَّا تِلْمِيذُهُ اَلْمِفْضَالُ اَلشَّيْخُ اِبْنُ قَيِّمْ اَلْجَوْزِيَّة - وَهُوَ كَأُسْتَاذِهِ قَدْ تَعَرَّضَ اِسْمُهُ لِلدَّسِّ وَالاِسْتِغْلَالِ - فَلَا يَنْبَغِي عَلِي أَنْ أَنْقُلَ رَأْيُهُ فِي اَلتَّصَوُّفِ اَلْإِسْلَامِيِّ، فَإِنَّهُ قَدْ أَلَّفَ فِي اَلتَّصَوُّفِ كِتَاب « مَدَارِجِ اَلسَّالِكِينَ » فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ فَيَنْبَغِي عَلَى اَلرَّفِيقِ اَلْقَارِئِ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُهُ، وَلِقُدَمَاءِ اَلْحَنَابِلَةِ فَضْلٌ فِي مَجَالِ أَعْمَالِ اَلرُّوحِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ، يذكر إِمَامَانِ جَلِيلَانِ مِنْ أَئِمَّتِهِمْ لَـهُمَـا قَدَمٌ رَاسِخَةٌ فِي اَلرُّوحَانِيَّةِ وَالْعَمَلِ اَلرُّوحِيِّ أَوَّلُهُمَا وَهُوَ أَقْدَمِهِمَا، حَضْرَةُ اَلْإِمَامِ عَبْدَ اَللهَّ بْنْ مُحَمَّدْ بْنْ عَلِي اَلْهَرَوِي اَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٨١ هـ، وَثَانِيهُمَا مُفْتِي اَلْحَنَابِلَةِ فِي بَغْدَادَ حَضَرَهُ اَلشَّيْخُ عَبْدَ اَلْقَادِرْ اَلْكِيلَانِي اَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٦١ هـ، وَلِلْإِمَامِ اَلْهَرَوِي كِتَابِ « مَنَازِلِ اَلسَّائِرِينَ » وَهَذَا هُوَ اَلْمَتْنُ اَلَّذِي شَرْحُهُ اِبْنُ اَلْقَيِّمْ بِكِتَابِ «مَدَارِجِ اَلسَّالِكِينَ» اَلسَّالِفَ ذِكْرُهُ، وَلِلشَّيْخِ عَبْدُ اَلْقَادِرْ اَلْكِيلَانِي كِتَابُ «اَلْفَتْحِ اَلرَّبَّانِيِّ» - اَللَّهُمَّ اِجْزِهُمْ عَنْ اَلْمُسْلِمِينَ خَيْرًا وَأَنَلْهُمْ مِنْ عِنْدِكَ فَضْلاً وَبَرًّا، وَأَفِضْ عَلَيْنَا أَمْثَالَ بَرَكَاتِهِمْ، وَاسْلُكْ بِنَا مَسْلَكُ كَرَامَتِهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ اَلْكَرِيمُ اَلْوَهَّابْ -). معالم الطريق في العمل الروحي الاسلامي: (ص ١٦٠)

وأرى أنّ الموضوع يحتاج إلى أكثر ممّا نقلت عن الشيخ ابن تيمية – رحمه الله تعالى –، لما ذكرتُ سابقًا من استغلال بعض أقواله في المنحرفين من المدّعين وتعميمها على الجميع.

قال – رحمه الله تعالى :–

(القَلْبُ المَعْمُوْرُ بِالتَّقْوَى إِذَا رَجَّحَ بِمُجَرَّدِ رَأْيِهِ فَهُوَ تَرْجِيْحٌ شَرْعِيٌّ، قَالَ: فَمَتَى مَا وَقَعَ عِنْدَهُ فِي قَلْبِهِ مَا يَظُنُّ مَعَهُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ أَوْ هَذَا الكَلَامَ أَرْضَى لله وَرَسُوْلِهِ، كَانَ هَذَا تَرْجِيْحًا بِدَلِيْلٍ شَرْعِيّ، وَالَّذِيْنَ أَنْكَرُوْا كَوْن الإِلْهَام لَيْسَ طَرِيْقًا لِلْحَقَائِقِ مُطْلَقًا أَخْطَئُوْا، فَإِذَا اجْتَهَدَ العَبْدُ فِي طَاعَةِ اللَّـهِ وَتَقْوَاهُ كَانَ تَرْجِيْحُهُ لِمَا رَجَّحَ أَقْوَى مِنْ كَثِيْرٍ مِنَ الأَقْيِسَةِ الضَّعِيْفَةِ وَالـمَوْهُوْمَةِ وَالظَّوَاهِرِ وَالاسْتِصْحَابَاتِ الكَثِيْرَةِ الّتِي يَحْتَجُّ بِهَا كَثِيْرٌ مِنَ الخَائِضِيْنَ فِي الـمَذَاهِبِ وَالخِلَاف وَأُصُوْلِ الفِقْهِ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: اقْرَبُوْا مِنْ أَفْوَاهِ الـمُطِيْعِيْنَ، وَاسْمَعُوْا مِنْهُمْ مَا يَقُوْلُوْنَ، فَإِنَّهُمْ تَتَجَلَّى لَهُمْ أُمُوْرٌ صَادِقَةٌ، وَحَدِيْثُ مَكْحُوْل الـمَرْفُوْع: (مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ العِبَادَةَ للَّـهِ تَعَالَى أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا إِلَّا أَجْرَى اللهُ الحِكْمَةَ عَلَى قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ)

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيْعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ)

وَقَالَ أَبُوْ سُلَيْمَان الدَّارَانِيّ: إِنَّ القُلُوْبَ إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَى التَّقْوَى جَالَتْ فِي الـمَلَكُوْتِ وَرَجَعَتْ إِلَى أَصْحَابِهَا بِطُرَفِ الفَوَائِدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا عَالِمٌ عِلْمًا)

وقد قال النبيّ ﷺ:–

(الصَّلَاةُ نُوْرٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ) الإمام مسلم رحمه الـمنعم جلّ وعلا (١/ ٢٠٣).

ومَنْ معه نورٌ وبرهانٌ وضياءٌ كَيْفَ لا يعرف حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ مِنْ فَحْوى كَلَامِ أَصْحَابِهَا ؟ ولا سِيَّمَا الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ ، فإنّه يَعْرِفُ ذَلِكَ مَعْرِفَةً تَامّةً، لأنّه قَاصِدٌ الْعَمَلَ بِهَا ، فَتَتَسَاعَدُ

فِي حَقِّهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مع الِامْتِثَالِ ومحبّةِ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ ، حتّى إنّ الـمحبَّ يَعْرِفُ من فَحْوَى كَلَامِ مَـحْبوبِهِ مُرادَهُ منه تَلويحًا لا تَصْرِيحًا

العَيْنُ تَعْرِفُ فِي عَيْنَيْ مُحَدِّثِهَـــــــــا *** إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيْهَـــــــا

مضاهاة أمثال كليلة ودمنة: (١/ ٢٩).

إِنَـــارَةُ العَقْلِ مَكْسُـوفٌ بِطَوْعِ هَوَىً *** وَعَقْلُ عَاصِي الهَوَى يَـــزْدَادُ تَنْوِيْـــرا

البحر الـمديد: (٧/ ١٣٤)، ومعجم القواعد العربية: (٢/ ٦٤).

وفي الحديث الصحيح:-

(وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه (٨/ ١٠٥).

وَمَنْ كَانَ تَوْفِيقُ اَللَّـهِ لَهُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَا بَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ وَنَفْسٍ فَعَّالَةٍ ؟ وَإِذَا كَانَ اَلْإِثْمُ وَالْبِرُّ فِي صُدُورِ اَلْخُلُقِ لَهُ تَرَدُّدٌ وَجَوَلَانٌ ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ اَللَّـهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَهُوَ فِي قَلْبِهِ ؟ وَقَدْ قَالَ اِبْنُ مَسْعُودْ :"الإثم حَوازُّ القلب: جمعُ حازَّةٍ وهي الأُمورُ التي تَحُزُّ في القُلوبِ وتَحُكُّ وتُؤَثِّرُ ويَتَخالَجُ فيها أنْ تكونَ مَعَاصِيَ لفَقْدِ الطُّمَأنِينَة إليها" . جامع العلوم والحكم: (١/ ٢٥٥)، وفصل الـمقال في شرح كتاب الامثال (١/ ٣٠٩).

وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ اَلْكَذِبَ رِيبَةٌ وَالصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، فَالْحَدِيثُ اَلصِّدْقُ تُطَمْئِنُ إِلَيْهِ اَلنَّفْسُ ، وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ اَلْقَلْبُ .

وَأَيْضاً فَإِنَّ اَللَّـهَ فُطْرَ عِبَادَهِ ، فَإِذَا لَمْ تَسْتَحِلْ اَلْفِطْرَةُ شَاهَدَتْ اَلْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فَأَنْكَرَتْ مُنْكَرَهَا وَعَرَفَتْ مَعْرُوفَهَا ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ ﷺ: (الحَقُّ أَبْلَجُ لَا يَخْفَى عَلَى فَطِن).

فَإِذَا كَانَتْ اَلْفِطْرَةُ مُسْتَقِيمَةً عَلَى اَلْحَقِيقَةِ مُنَوَّرَةً بِنُورِ اَلْقُرْآنِ ، تَجَلَّتْ لَهَا اَلْأَشْيَاءُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ اَلْـمَزَايَا ، وَانْتَفَتْ عَنْهَا ظُلُمَاتُ اَلْجَهَالَاتِ ، فَرَأَتْ اَلْأُمُورَ عِيَانًا مَعَ غَيْبِهَا عَنْ غَيْرِهَا .

وَفِي اَلسُّنَنِ وَالْـمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ عَنْ اَلنَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ ﷺ عَنْ [حَضْرَةِ] النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

(ضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّـهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللَّـهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّـهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّـهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ) الإمام أحمد رحمه الفرد الصمد عزّ شأنه (٢٩/ ١٨٤).

فَقَدْ بَيَّنَ فِي هَذَا اَلْحَدِيثِ اَلْعَظِيمِ اَلَّذِي مِنْ عَرَفَهُ اِنْتَفَعَ بِهِ اِنْتِفَاعًا بَالِغًا إِنْ سَاعَدَهُ اَلتَّوْفِيقُ، وَاسْتَغْنَى بِهِ عَنْ عُلُومٍ كَثِيرَةٍ : إِنَّ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَاعِظًا ، وَالْوَعْظُ هُوَ اَلْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالتَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ، وَإِذَا كَانَ اَلْقَلْبُ مَعْمُورًا بِالتَّقْوَى اِنْجَلَتْ لَهُ اَلْأُمُورُ وَانْكَشَفَتْ ، بِخِلَافِ اَلْقَلْبِ اَلْخَرِبِ اَلْـمُظْلِمِ.

قال سيِّدنا حذيفة بن اليمان ﷺ:-

(إِنَّ فِي قَلْبِ الـمُؤْمِنِ سِرَاجًا يَزْهُرُ) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٥).

وفي الحديث الصحيح:-

(لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ

فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ جلاله (٨/ ١٩٥).

فَدَلَّ عَلَى أَنَّ اَلْمُؤَمَّنَ يَتَبَيَّنُ لَهُ مَا لَا يَتَبَيَّنُ لِغَيْرِهِ ، وَلَا سِيَّمَا فِي اَلْفِتَنِ ، وَيَنْكَشِفَ لَهُ حَالُ اَلْكَذَّابِ اَلْوَاضِعِ عَلَى اَللَّـهِ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ، فَإِنَّ اَلدَّجَّالَ أَكْذِبُ خَلْقِ اَللَّـهِ ، مَعَ أَنَّ اَللَّـهَ تَعَالَى يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ أُمُورًا هَائِلَةً ، وَمَـخَارِيقَ مُزَلْزِلَةً ، حَتَّى إِنَّ مِنْ رَآهُ اُفْتُتِنَ بِهِ ، فَيَكْشِفُهَا اَللَّـهُ ﷻ لِلْمُؤَمَّنِ حَتَّى يَعْتَقِدَ كَذِبَهَا وَبُطْلَانَهَا . وَكُلَّمَا قَوِيَّ اَلْإِيمَانِ فِي اَلْقَلْبِ قَوِيَّ اِنْكِشَافُ اَلْأُمُورِ لَهُ ، وَعَرَفَ حَقَائِقَهَا مِنْ بَوَاطِنِهَا ، وَكُلَّمَا ضَعُفَ اَلْإِيمَانُ ضَعُفَ اَلْكَشْفُ ، وَذَلِكَ مِثْلُ اَلسِّرَاجِ اَلْقَوِيِّ وَالسِّرَاجِ اَلضَّعِيفِ فِي اَلْبَيْتِ اَلْـمُظْلِمِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ اَلسَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:-

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [سورة النور: ٣٥]

قَالَ : هُوَ اَلْـمُؤَمَّنُ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ اَلْـمُطَابِقَةِ لِلْحَقِّ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فِيهَا بِالْأَثَرِ، فَإِذَا سَمِعَ فِيهَا بِالْأَثَرِ كَانَ نُورًا عَلَى نُورٍ. (مجموع الفتاوى: ٢٠/ ٤٥ - ٤٦).

فَالْإِيمَانُ اَلَّذِي فِي قَلْبِ اَلْـمُؤَمَّنِ يُطَابِقُ نُورَ اَلْقُرْآنِ ، فَالْإِلْهَامُ اَلْقَلْبِيُّ تَارَةً يَكُونُ مِنْ جِنْسِ اَلْقَوْلِ وَالْعِلْمِ.

وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا اَلْقَوْلَ كَذِبٌ ، وَأَنَّ هَذَا اَلْعَمَلَ بَاطِلٌ ، وَهَذَا أَرْجَحُ مِنْ هَذَا ، أَوْ هَذَا أَصْوَبُ .

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ [حَضْرَةِ] اَلنَّبِيِّ ﷺ قال:-

(لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

والـمُحَدَّث: هو الـمُلهَم الـمُخاطَب في سرّه، وما قال سيّدنا عمر ﷺ لشيء: إنّي لأظنّه كذا وكذا إلّا كان كما يظنّ، وكانوا يَرونَ أنّ السَّكينةَ تَنْطقُ على قَلبِهِ ولِسَانِهِ.

وَأَيْضاً فَإِنَّ كَانَتْ اَلْأُمُورُ اَلْكَوْنِيَّةُ قَدْ تَنْكَشِفُ لِلْعَبْدِ اَلْـمُؤْمِنِ لِقُوَّةِ إِيمَانِهِ يَقِينًا وَظَنًّا ، فَالْأُمُورُ اَلدِّينِيَّةُ كَشْفُهَا لَهُ أَيْسَرُ بِطَرِيقِ اَلْأَوْلَى ، فَإِنَّهُ إِلَى كَشْفِهَا أَحْوَج ، فَالْـمُؤْمِنُ تَقَعُ فِي قَلْبِهِ أَدِلَّةٌ عَلَى اَلْأَشْيَاءِ لَا يُمْكِنُ اَلتَّعْبِيرُ عَنْهَا فِي اَلْغَالِبِ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يُمْكِنُهُ إِبَانَةَ اَلْمَعَانِي اَلْقَائِمَةِ بِقَلْبِهِ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ اَلْكَاذِبُ بَيْنَ يَدِي اَلصَّادِقِ عَرَفَ كِذِبَهُ مِنْ فَحْوَى كَلَامِهِ ، فَتَتَدَخَّلُ عَلَيْهِ نَخْوَةُ اَلْحَيَاءِ اَلْإِيمَانِيِّ فَتَمْنَعُهُ اَلْبَيَانَ ، وَلَكِنْ هُوَ فِي نَفْسِهِ قَدْ حَذَّرَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّمَا لَوَّحَ أَوْ صَرَّحَ بِهِ خَوْفًا مِنْ اَللَّـهِ تَعَالَى ، وَشَفَقَةً عَلَى خَلْقِ اَللَّـهِ؛ لِيَحذَرُوا مِنْ رِوَايَتِهِ أَوْ اَلْعَمَلِ بِهِ.

وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ اَلْإِيمَانِ وَالْكَشْفِ يُلْقِي اَللَّـهُ ﷻ فِي قَلْبِهِ أَنَّ هَذَا اَلطَّعَامَ حَرَامٌ ، وَأَنَّ هَذَا اَلرَّجُلَ كَافِرٌ ، أَوْ فَاسِقٌ ، أَوْ خِمَارٌ ، أَوْ مُغَنٍّ ، أَوْ كَاذِبٌ ، مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ ظَاهِرٍ ، بَلْ بِمَا يُلْقِي اَللَّـهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ ، وَكَذَلِكَ اَلْعَكْسُ ، يُلْقِي فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةً لِشَخْصٍ ، وَأَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اَللَّـهِ، وَأَنَّ هَذَا اَلرَّجُلَ صَالِحٌ، وَهَذَا اَلطَّعَامَ حَلَالٌ، وَهَذَا اَلْقَوْلَ صِدْقٌ ، فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَبْعَدَ فِي حَقِّ أَوْلِيَاءِ اَللَّـهِ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْـمُتَّقِينَ .

و قِصَّةُ اَلْخَضِرِ مَعَ مُوسَى – عَلَيْهِمَا اَلسَّلَامُ – هِيَ مِنْ هَذَا اَلْبَابِ ، وَأَنَّ اَلْخِضْرَ عِلْمَ هَذِهِ اَلْأَحْوَالَ اَلْـمُعَيَّنَةَ بِمَا أَطْلَعَهُ اَللَّـهُ عَلَيْهِ ، وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ يَطُولُ بَسْطُهُ ، قَدْ نَبَّهْنَا فِيهِ عَلَى نُكَتٍ شَرِيفَةٍ تُطْلِعُكَ عَلَى مَا وَرَاءَهَا" انتهى كلامه رحمه الله تعالى (مجموع الفتاوى: ٢٠/ ٤٣-٤٨).

وما قاله شيخ الإسلام هنا، أكّده وأيّده تلميذه الـمحقّق الشيخ ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى: في عدد من كتبه، وخصوصًا في كتابه الشهير "مدارج السالكين".

وأختم بهذا النصّ الوارد في فتاوى الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى والذي يدلّ دلالة قطعية على إقرار الشيخ رحمه الله ﷻ بحقيقة الرابطة الشريفة التي وصفتها وإنْ لم يفصح باسمها، قال رحمه الله تعالى:-

(فَإِنَّكَ إِذَا أَحْبَبْتَ الشَّخْصَ للَّـهِ كَانَ اللهُ هُوَ الـمَحْبُوْب لِذَاتِهِ، فَكُلَّمَا تَصَوَّرْتَهُ فِي قَلْبِكَ تَصَوَّرْتَ مَحْبُوْبَ الحَقِّ فَأَحْبَبْتَهُ، فَازْدَادَ حُبُّكَ للَّـهِ كَمَا إِذَا ذَكَرْتَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ وَالـمُرْسَلِيْنَ وَأَصْحَابَهُم الصَّالِحِيْنَ وَتَصَوَّرْتَهُمْ فِي قَلْبِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْذِبُ قَلْبَكَ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّـهِ الـمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ وَبِهِمْ إِذَا كُنْتَ تُحِبُّهُمْ للَّـهِ ، فَالـمَحْبُوْبُ للَّـهِ يَجْذِبُ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّـهِ ، وَالـمُحِبُّ للَّـهِ إِذَا أَحَبَّ شَخْصًا للَّـهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَحْبُوْبُهُ، فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَجْذِبَهُ إِلَى اللَّـهِ تَعَالَى، وَكُلٌّ مِنَ الـمُحِبِّ للَّـهِ وَالـمَحْبُوْبِ للَّـهِ يَجْذِبُ إِلَى اللَّـهِ) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٠٨).

فدقّق النظر في هذا النصّ وانبذ التعصّب لتهتدي لما فيه سعادة الدارين بإذن الله ﷻ.

ملاحظات:

أ- اكتفيت بنقل بعض نصوص الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى لأنّ كثيرًا من الـمعارضين لا يقتنعون إلّا برأيه، وكم كنتُ أتمنّى أنْ يكونوا منصفين معه رحمه الله ﷻ أمينين في نقل ما أثبته في مؤلفاته، وما استودعه في عقول تلامذته.

ب- ينبغي أنْ يُعلم أنّ الشيخ ابن تيمية رحمه الله ﷻ وتلميذه ابن القيم جزاه الله ﷻ خيرًا إنّما هُما عالة على ما أثبته الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، ولا يعتبر هذا عيبًا، بل هو سنّة الله تبارك وتعالى في العلم والتعلّم، فاللاحق يستفيد من السابق، وتظهر هذه الحقيقة بمجرّد التأمّل بما كتب الإمام الغزالي وأمثاله رحمهم الله تعالى، وما كتبه الشيخان ابن تيمية وابن القيم وأمثالهما

جزاهم الله ﷻ عن الـمسلمين بما يليق بكرمه اللائق به ﷻ، ولتوضيح معنى كلمة "عالة" أنقل ما ورد في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ﷺ قول الإمام الشَّافِعِيّ رحمه الله تعالى:-

(النَّاسُ عِيَالٌ فِي الْفِقهِ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ) تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٨).

ج- الحقائق الـمستفادة من النصوص الـمنقولة كثيرة جدًّا، منها:-

١- كرامات الأولياء حقّ، والإيمان بها واجب، وإنكارها صفة الـمبتدعين.

٢- الصوفية والتصوّف: علمًا أنني لا أحبّذ التمسّك بهذا الاسم لأنّه جنى على الحقائق فأودّ أنْ أسميه -التربية الروحية، أو التزكية، أو العمل الروحي- فهذا هو جوهر التصوّف، وهو من صلب الدين وحقيقته.

٣- الـمقامات والأحوال من أصول الإيمان وقواعد الدين.

٤- الـمواجيد والواردات محمودة إذا كانت أسبابها مشروعة، والعكس بالعكس.

٥- القلب الـمعمور بالتقوى يحقّ له الترجيح في الفتوى، له قوّة الجولان في الـملكوت، يأتي بفوائد من غير أنْ يؤدي إليه عالـمٌ علمًا، محلّ للتجليات الصادقة، فتتبيّن له حقائق الأشياء وتتكشّف ولا سيما في الفتن.

وهذا هو الذي حصل في بلدنا لأهل الحق، فبفضل الله تعالى كانت الحقائق منكشفة بشكل أدّى إلى حماية الصادقين من الإتّباع للأشرار والابتداع في الأفكار وحال دون سقوطهم كما سقط الكثيرون في أشياء لا أريد تلويث لساني بذكرها ولا تدنيس قلمي بخطّها، ولله ﷻ الـمنّة والفضل، وأسأل الله ﷻ العافية والـمغفرة للمسلمين والاستفادة من الـمرشدين ﷺ.

فانظروا يا رعاكم الله تعالى وتأمّلوا جيّدًا في النصوص الـمنقولة تجدوا أنّ الإجماع منعقد من علماء الإسلام رحمهم الله ﷻ على التأثير الروحي الإيجابي الذي ندعوا إلى الاستفادة منه ليجذبنا إلى الله ﷻ، فنكون له موحّدين، وعلى ذكره مداومين، وبرسوله ﷺ مقتدين.

الـمبحث الثاني: حكم الرابطة الشريفة

لم يبق من موضوع الرابطة على ما أعتقد إلّا ذكر حكمها وبيان بعض ما يتعلّق بها، أمّا حكمها فقد قال شيخنا رحمه الله تعالى:-

(ثُمَّ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ ذِكْرَ اللَّـهِ ﷻ وَاجِبٌ مَأْمُوْرٌ بِهِ، وَأَنَّ الـمُبْتَغَى مِنَ الرَّابِطَةِ إِنَّمَا: هُوَ التَّوَصُّلُ إِلَى أَدَاءِ هَذَا الوَاجِبِ عَلَى أَتَمِّ وَجْهٍ، أَدْرَكْنَا أَنَّ الرَّابِطَةَ الرُّوَحَانِيَّةَ حُكْمُهَا الوُجُوْبُ لِلْمُكَلَّفِيْنَ الَّذِيْنَ لَا يَقْوُوْنَ عَلَى ذِكْرِ اللَّـهِ مِنْ دُوْنِ تَقْدُمَةِ رَابِطَةٍ، وَالنَّدْبُ لِمَنْ يَقْوُوْنَ عَلَى الحَدِّ الأَقَلِ مِنَ الذِّكْرِ لَكِنْ لَا يَقْوُوْنَ لِوَحْدِهِمْ عَلَى الذِّكْرِ الأَتَمِّ، فَإِنَّ مَا لَا يَتِمُّ الوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ، وَمَا لَا يَتِمُّ الـمَنْدُوْبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ مَنْدُوْبٌ إِلَيْهِ) معالـم الطريق ص٣٠٧- ٣٠٨.

وبما أنّ الرابطة الشريفة من أعمال القلوب والطاقات الروحية، فإنّي أنصح بني البشر بشكل عام والـمسلمين بشكل خاصّ بالعناية الكبيرة بما يثري ثقافتهم الروحية، وذلك بمطالعة أقوال الربّانيّين من علماء الإسلام القدامى والـمعاصرين التي لها علاقة وثيقة بالثقافة الروحية، والاستفادة من أبحاث الأساتذة الذين يعنون بالطاقات الروحية والظواهر التي تجسّد عالـم ما وراء الطبيعة، فأخذ الحكمة والحرص عليها من صفات الـمؤمنين كما قال سيّدنا رسول الله ﷺ:-

(الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ الـمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا) الإمام الترمذي رحمه الله تعالى (٥/ ٥١).

وخير ما اطلعت عليه في الأبحاث الحديثة هو ما في موقع الدكتور عبد الدائم كحيل:- "أسرار القلب"، على أنّي أودّ أنْ يُعلم بأنّ هذه النتائج يُستأنس بها، فالأدلة الـمذكورة في ثنايا أبحاث الرابطة كافية بإذن الله تبارك وتعالى للمؤمنين والـمؤمنات.

كما أرجو أنْ يُلاحظ بأنّ موضوع الرابطة اجتهادي قد تتعدّد فيه الأقوال، والأمر فيه سعة والحمد لله، والرابطة من الـمسائل الذوقية التي يصعب وصفها وربما يستحيل على بعض الأفهام فهمها.

فأقول للمستفهم: اصدُق اللهَ تعالى حتّى يوردك موارد الأنس بها.

وأنصح أحبابي أنْ تتّسع صدورهم للمستفهمين، فتحمّل الأذى في سبيل الله ﷻ من الصور الناصعة والـمساحات الـمنيرة في حياة الدعاة، وإذا كانت هذه الكلمة تثير لغطًا بين الـمسلمين بسبب كثرة معاول الهدم أو ضعف الثقافة الروحية عندهم فإنّه من السهل جدًّا على الصادقين التنازل عنها أو استبدالها بألفاظ أخرى يمكن الاصطلاح عليها طالـما آمنّا بمضمونها.

وأرجو أنْ يُعلم أنّ الفائدة الروحية التّي عبّرت عنها كلمة "الرابطة" لا تنحصر عند فئة ممّن يعنون بالتزكية، فقد أجمع الربانيّون على نفعها ووصّوا الـمسلمين بطلب مصادرها، وأروي عن شيخي طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه سماعًا منه ما يلي:-

(اعْلَمْ يَا وَلَدِي أَنَّ سَيِّدَنَا حَضْرَةَ الشَّيْخ عَبْد القَادِر الكَيْلَانِيّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ العَزِيْز كَانَ يَعْمَلُ عَمَلَنَا هَذَا).

ثمّ تشرّفت بالاطلاع على وثيقة إجازة بالإرشاد بالطريقة القادرية صادرة إلى الشيخ محمد أمين من السيّد عبد الحميد الآلوسي قدّس سرّه في ١٢٨٢ هـ الـموافق لسنة ١٨٦٥، وإليك نصّها:-

(الحمد لله الذي أجاز مَن انحاز إلى حزبه وسلك طريقة ذوي حبّه أسنى جوائزه الفاخرة، وأنال مَنْ مال عن السوى وأعرض عن سبيل أولي الهوى مقامًا عليًّا في الأولى والآخرة، والصلاة

والسلام على أكمل مرشد بعثه للناس هاديًا ولتوحيده داعيًا، وعلى آله وأصحابه الـمريدين لما يريد، الـموردين أعدائه بمرهفات الحديد كأسًا من وخيم الـموت وافيًا، أمّا بعد: فإنّ ولد قلبي، وحبيب لبّي، الورع الزاهد، والعارف العابد، فرع الشجرة الهاشميّة، وفنن الدوحة الفاطميّة، الـمكين الأمين السيّد محمّد أمين، لمّا صرف للسلوك على يديَّ في مسالك الطريقة مدّة مديدة من نفيس عمره، وبذل في خدمتها والتأدّب بآدابها على الحقيقة سنين عديدة من سالف دهره، وتحقّق لديّ وصوله الـمطلوب، وانتظامه في سلك أرباب القلوب، وشمول بركته الـمترددين إليه من إخوانه الـمسلمين، وتأثير توجّهاته في الـمنتمين إليه من الـمريدين، وقابليته للإرشاد ولياقته للإمداد، أجزته بالإرشاد في الطريقة العليّة القادريّة وفق الشريعة الغرّاء، وأذنتُ له بتلقين كلمة التوحيد، وتسليك الـمريد، والتوجّه السديد لَمَنْ شاء، حسبما أجازني شيخي ذو الفيض الربّاني الشيخ عبد الرحمن الطالباني قدّس سرّه، عن والده الحليم الأوّاه رئيس عارفي زمانه بالله الشيخ أحمد قدّس سرّه، وهو عن والده ذي الهمم العليّة والبراهين الجليّة الشيخ محمود قدّس سرّه، وهو عن الـمرشد الكامل والفرد الذي ليس له في عصره مماثل الشيخ أحمد الهندي قدّس سرّه، وهو حسب إجازته الشهيرة بين الخاصّ والعامّ الغنيّة عن تحرير ما لا طائل تحته من ذكر أسماء أولئك السادة الكرام فاضلًا عن فاضل، وكاملًا عن كامل، إلى حضرة الباز الأشهب والغوث الأنجب القطب الربانيّ والهيكل الصمدانيّ سيّدي الشيخ عبد القادر الكيلانيّ قدّس سرّه وعمّنا برّه، وهكذا كابرًا عن كابر، وطاهرًا عن طاهر، إلى حضرة قطب دائرة الوجود والدرة الفاخرة البارزة من عيلم كنز الكرم والجود

خليفته تعالى في خليقته وأمينه سبحانه على أسرار تجلّيَات حقيقته سيّدنا ورسولنا محمّد ﷺ وشرف وعظم وكرم، عن جبريل عليه السلام، عن ربّ العزّة جلّ جلاله وعمّ فضله ونواله.

فأسأله جلّ شأنه وعزّ سلطانه، بحرمة أسمائه الحسنى ورفعة مقامه الأسنى، أنْ ينفع الـمسلمين بصالح دعواته، ويفيض على الـمريدين شآبيب فيوضات توجّهاته، وأنا ضمين لَمَنْ صحبه بحسن الحال في الحال والـمآل، ولَمَنْ لازمه نيل الـمُنى وبلوغ الآمال، فإنّ همم الرجال تقلع الجبال.

وأستغفر الله العظيم لي وله ولجميع الـمسلمين، وسلام على الـمرسلين، والحمد لله ربّ العالـمين.

السـيّـد عبـد الحميـد القـادري

النقشبندي الآلوسي عفي عنه.

ومَنْ أراد الاطلاع على أصل هذه الوثيقة فليتصل بفضيلة السيّد الشيخ الدكتور عبد الخالق ناجي السامرائي لأنّه من أحفاد الشيخ الـمجاز.

وبهذا أكون قد أتيتُ على نهاية بحث الرابطة، جعلها الله تبارك وتعالى لعباده نافعة في الدنيا والآخرة.

وصلّى الله تعالى وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالـمين أوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

الخاتمة

بعض نتائج البحث وأهمّ الوصايا.

أ- بعض نتائج البحث:

١- الإيمان بالروح وطاقاته واجبٌ شرعًا.

٢- الاعتقاد بالتأثير الروحي الإيجابي والسلبي مُجْمَعٌ عليه.

٣- العلم الحديث يُثبت التأثير الروحي على أنَّه حقيقة علمية.

٤- العمل الروحي لا يشذُّ عن سنن الله تعالى في الحاجة إلى الوسائل.

٥- الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى لا ينكران العمل الروحي وجواز الاستفادة من الصالحين إنّما ينكران على الـمدَّعين، حالهما كحال بقيّة علماء الإسلام.

٦- الاعتقاد ببصيرة نافذة ونفس فعّالة أمرٌ مُجْمَعٌ عليه عند علماء الإسلام.

٧- تصوّر مخلوق في القلب مع الاعتقاد بأنَّه يجذبك إلى الله ﷻ ليس شركًا ولا عبودية لغير الله ﷻ، بل وسيلة للقربِ من الله ﷻ بإذنه.

٨- الـمدارس الروحية الـمتشبثة بحبل الكتاب والسنّة تدعوا بإجماع للاستفادة من الطاقات الروحية للمرشدين.

ب- أهم الوصايا:

١- العناية بالثقافة الروحية لأنّها واجبة على الـمسلمين والـمسلمات.

٢- ينبغي على علماء الأمّة أنْ يكونوا في مقدّمة مَنْ يتثقفون بثقافة الروح ويغرسون أقاحيها في مواضع الخصب من أفكارهم لينهضوا بأجيال الـمسلمين شيبهم وشبانهم.

٣- التريّث في إلصاق التُّهَم بأهل الفضل والعلم، والتثبّت ممّا ينسب إليهم.

٤- سعة الصدر في قبول الآخر فديننا يقرّ التنوّع الـمفضي إلى الجمال والتكامل.

٥- ابحث عن مرشد موصول اليد بحضرة خاتم النبيّين ﷺ.

الـمصادر والـمراجع

- القرآن الكريم

١- أبجد العلوم الوشي الـمرقوم في بيان أحوال العلوم، الـمؤلف: صديق بن حسن القنوجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٨، تحقيق: عبد الجبار زكار، عدد الأجزاء: ٣.

٢- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، سنة الولادة ٤٥٠، سنة الوفاة ٥٠٥، الناشر دار الـمعرفة، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: ٤

٣- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الـمؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الـملك القسطلاني القتيبي الـمصري، أبو العباس، شهاب الدين (الـمتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: الـمطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

٤- الأساس في التفسير، الـمؤلف: سعيد حوى، دار النشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة

٥- الثالثة ١٩٩١.

٦- البحر الـمديد ـ الـمؤلف: أحمد بن محمد بن الـمهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، الأجزاء: ٨، دار النشر/ دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الثانية/ ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ.

٧- البلاغة العربية، الـمؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الـميداني الدمشقي (الـمتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، الأجزاء: ٢.

٨- تاريخ قضاة الأندلس (الـمرقبة العليا فيمَنْ يستحق القضاء والفتيا) الـمؤلف: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي الـمالكي الأندلسي، دار النشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت/ لبنان

- ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، الطبعة الخامسة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، عدد الأجزاء: ١.

٩- تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الأجزاء: ٤.

١٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، الأجزاء: ٣٠.

١١- تفسير أبي السعود - أبو السعود، الكتاب: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٩.

١٢- تفسير الشعراوي - الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠.

١٣- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقق: محمود حسن، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، مصدر الكتاب: موقع مكتبة المدينة الرقمية، http://www.raqamiya.org

١٤- تفسير النسفي، الكتاب: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، عدد الأجزاء: ٤.

١٥- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، المؤلف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي [٥٠٨هـ - ٥٩٧هـ]، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧.

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـ]، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤، مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، www.qurancomplex.com

١٧- جامع العلوم والحكم، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

١٨- الجواب الكافي الكتاب: كتاب الجواب الكافي لِمَنْ سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد: ١.

١٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٠- خزانة الأدب وغاية الأرب، المؤلف: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراريى، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، تحقيق: عصام شعيتو، عدد الأجزاء: ٢.

٢١- ديوان البوصيري، من المكتبة الالكترونية الشاملة، الاصدار ٣,١٣ http://www.shamela.ws

٢٢- الرسالة القشيرية، المؤلف: القشيري، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود الآلوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٣٠.

٢٤- سنن ابن ماجه، الـمؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (الـمتوفى: ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

٢٥- سنن الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، الـمؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء: ٥.

٢٦- السنن الكبرى للنسائي، الـمؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (الـمتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد الـمنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد الـمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ مـ عدد الأجزاء: (١٠ و ٢ فهارس).

٢٧- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الـملك بن هشام بن أيوب الحميري الـمعافري أبو محمد، الـمتوفى سنة ٢١٣ هـ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، الناشر دار الجيل، سنة النشر ١٤١١ هـ، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: ٣ - ٦.

٢٨- شرح النووي على مسلم: الـمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الـمؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢، الأجزاء: ١٨.

٢٩- صحيح البخاري: الجامع الـمسند الصحيح الـمختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: الـمؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الـمغيرة الجعفي البخاري، الـمحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٠- صحيح مسلم: الجامع الصحيح المسمّى صحيح مسلم: المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل - بيروت، ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

٣١- زاد المسير - ابن الجوزي، الكتاب: زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤، عدد الأجزاء: ٩.

٣٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفى: ١٥٧ هـ) مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: ٧٢، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين العيني الحنفي، مصدر الكتاب: ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث، المكتبة الشاملة الاصدار١٣, ٣، http: //www.ahlalhdeeth.com

٣٤- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، المؤلف: أبو عبيد البكري، المحقق: إحسان عباس، الطبعة: ١، تاريخ النشر: ١٩٧١، الناشر: مؤسسة الرسالة، عنوان الناشر: لبنان - بيروت، مصدر الكتاب: موقع الوراق، http: //www.alwarraq.com.

٣٥- فيض القدير - المناوي، الكتاب: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرؤوف المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦، عدد الأجزاء: ٦.

٣٦- في ظلال القرآن، المؤلف: سيّد قطب، مصدر الكتاب: موقع التفاسير.

٣٧- http: //www.altafsir.com

٣٨- القاموس المحيط: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي،

الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٣٩- مجموع الفتاوى، الـمؤلف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني. الـمحقق: أنور الباز – عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٣٧ (٣٥ + ٢ فهارس)، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

٤٠- الـمحيط في اللغة، الـمؤلف: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، دار النشر: عالـم الكتب – بيروت/ لبنان – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عدد الأجزاء: ١٠.

٤١- مختار الصحاح، الـمؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥ – ١٩٩٥، تحقيق: محمود خاطر، عدد الأجزاء: ١.

٤٢- مختصر الفتاوى الـمصرية لابن تيمية، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي، الـمتوفى سنة ٧٧٨ هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر دار ابن القيم، سنة النشر ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٤٣- مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، الـمؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، الـمتوفى (٧٥١ هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، ط: ٢، مكتبة دار البيان، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣.

٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الـمؤلف: أحمد بن حنبل، الـمحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥٠، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

٤٥- مصنف ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧.

٤٦- مضاهاة أمثال كليلة ودمنة موافقا للمطبوع، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر اليمني، دار النشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، عدد الأجزاء: ١.

٤٧- معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي: المؤلف د. عبد الله مصطفى، الطبعة الأولى - عمّان (د. ن)، ١٩٩٣.

٤٨- المعجم الصَّغير للطَّبرانِيّ، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير، عدد الأجزاء: ٢.

٤٩- معجم القواعد العربية، المؤلف: الشيخ عبد الغني الدقر، مصدر الكتاب: مكتبة مشكاة الإسلامية.

٥٠- موسوعة الرقائق والأدب، المؤلف: ياسر بن أحمد بن محمود بن أحمد بن أبي الحمد الكويس الحمداني، عدد الأجزاء: ١.

٥١- موسوعة الشعر الإسلامي، جمعها وأعدّها: علي بن نايف الشحود

٥٢- http://www.alwarraq.com، عدد الأجزاء: ٥، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م، مصدر الكتاب: موقع الوراق، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، عدد الأجزاء: ١.

٥٣- نفحات الحياة، المؤلف د. عبد الله مصطفى، الطبعة الأولى بغداد، ١٩٩٥، شركة الفكر للتصميم والطباعة المحدودة.

المحتويات

الإهداء ٤

شكر وثناء ٥

تمهيد ٦

مقدمة ٨

الفصل الأول ١٢

المبحث الأول: تعريف الرابطة ١٣

المبحث الثاني: بعض المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ ١٤

المبحث الثالث: الرابطة اصطلاحًا ٢٠

الفصل الثاني ٤٣

المبحث الأول: تعريف المرشد ٤٤

المبحث الثاني: بعض خصائص الروح ٥٥

الفصل الثالث ٦٤

تمهيد ٦٥

المبحث الأول: الإيمان بالروح وآثاره مجمع عليه ٧٠

الـمبحث الثاني: حكم الرابطة الشريفة ٨١

الخاتمة ٨٥

الـمصادر والـمراجع ٨٧